



www.helmelarab.net

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل  
واحد في سن ( أدهم صبرى ) كل هذه المهارات ..  
ولكن ( أدهم صبرى ) حقق هذا المستحيل ، واستحق  
عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة  
اخبارات العامة لقب ( رجل المستحيل ) .

د. نيل فاروق

## ١ - الوداع ..

اصطبح قرص الشمس بلونه الأحمر الناري ، وهو يعيل إلى  
الغروب في الأفق ، والرمق الأخير من ضوءه يسقط على الأشجار  
العالية ، فتلقى ظلها الطويل عند جدول صغير . يمتد عبر مزرعة  
ضخمة ، من مزارع مدينة ( كيووا ) المكسيكية ، في نفس اللحظة  
التي ظهر فيها رجل وسيم قوى ، متين البنيان ، على متن جواد  
عريس أصيل ، من خلف عدة أشجار قريبة ، واقترب في ببطء من  
الجدول ، حتى بلغه وقد اختفى الثلث الأسفل من قرص الشمس في  
الأفق ، فهبط عن صهوة الجواد . ووقف يراقب الغروب في  
صمت ، وقد أطلت من عينيه نظرة عجيبة ، تجمع ما بين الحزن  
والضجر والضيق والمرارة ، في آن واحد ..

ومع غوص الشمس في بحر الأفق ، راح ذهن الرجل يسترجع  
ذكريات متداخلة ، ما بين القريب والبعيد ..

ذكريات والده ، الذي بذل أقصى جهده ، لجعل منه أعظم رجال  
المخابرات في العالم ..

ومصرع هذا الولد ..

ثم ذكريات العمل في القوات الخاصة المصرية ، قبيل وأثناء  
حرب أكتوبر ، عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين ..  
وبعدها الالتحاق بالمخابرات العامة المصرية ..

وتنهّد الرجل ..  
تنهّد الصلّاق ، الذي لم تشهد سناحات المقابر ، مثيلاً له ، في  
العالم أجمع ..

واسترجع ذهنه صورة أحب إنسانة إلى قلبه ..  
صورة (منى) ..

زميلته وحبيبته ، التي قضى عمره كله يتمنى الزواج منها ، ثم  
وجد نفسه زوجها لآخر مخلوقة كان يتصوّر علاقته بها ..  
يعتونه اللود ..

بـ (سونيا) .. (سونيا جراهام) .. (٤٦)

ثم يؤلمه أن بلغت الأمور هذا الحد ..

كم يحزنه أن تنتهي حياته العاطفة إلى هذه النهاية ..

مجرد مزارع ثرى ، في (المكسيك) ..

ولكنه القدر ..

القدر الذي جعله يواجه (باتشوسيلازر) ، ويفقد ذاكرته ،  
ويدخل في صراع مع (توماس موران) ، و (كال) ، و (هنتر) ،  
ومنتظمة (سكوربيون) كلها ..

نفس القدر الذي جعل (سونيا) تهرع إليه ، وهي تحمل اسم  
(تورما كريينال) ، فتقتل من أجله ، وتواجه الموت في سبيله ،  
بعد أن قضت حياتها كلها في محاولة للقضاء عليه ، وتقلب الأتوار  
رأساً على عقب ، حتى تنهّد ، وتصبح زوجته ، وأم طفله  
الوحيد .. (٤٧)

طفله ، الذي شاء القدر أن تنجيه له (سونيا) ، بعد أن تمنى  
طيلة عمره أن تجعله (منى) ..

(٤٨) راجع قصة (الرجل الآخر) .. المقامرة رقم (٨١)

(٤٩) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المقامرة رقم (٨٤)

(منى) ، التي لم يرها منذ شهر كامل ، عندما غادر منزلها مع  
(سونيا) ، بعد أن قص عليها قصته ، وطلب منها كتشان أمر  
وجوده على قيد الحياة ، ليحتل حياة القلب والصراع إلى الأبد ..  
مرة أخرى تنهّد في عمق وحرارة ، وقد غاب قرص الشمس  
تماماً في الأفق ، وبدأ الظلام يستعد لإسدال ستاره على المكان ، ثم  
اتجه (أدهم) إلى جواده ، ووثب على متنه في رشاقة مدهشة ، لم  
يفقدها بعد ، وألقى نظرة أخيرة على الأفق ، قبل أن يغمر في  
مرارة :

- لابد أن تعترف يا (أدهم) ، لقد انتهت (أدهم صبرى) ، ولم  
بعد هناك سوى (أميجو) .. (أميجو صانفو) ..

ولكن جواده لينطلق عائداً إلى مزرعته ، وهو ينهي نهايته ..  
نهاية الرجل ..

رجل المستحيل ..

\*\*\*

عبرت الرائد (منى توفيق) بوابة مبنى المقابر العامة في  
خطوات رصينة كعادتها ، وألقت تحية رفيعة على رجال أمن  
البوابة ، على الرغم من نظرة الحزن العميقة ، التي تملأ عينيها ،  
وتنظّل منهما في وضوح يستحق الشفقة ، ثم صعدت على قدميها  
إلى الطابق الثاني ، وقطعت العمر الطويل في بطنه ، وكأنها لم تعد  
ترغب في العمل ، أو لم تعد تطيق الجلوس في مكتبها ، بعد أن  
انتهت عملها مع (أدهم) ، الذي يظنه الجرح قد فارق الحياة ، فيما  
عدها ..

هي وحدها تعلم أن (أدهم صبرى) ما يزال حيّاً ، هناك في



(كبروا) ، يقضى البقية الباقية من أيامه مع زوجته (سونيا)  
جراهام) ، وأبنة الوحيد ، الذي لم يقربها حتى عن اسمه ..  
هي وحدهما تلوم بذلك السر ، الذي التفتها عليه (أدهم) ،  
وطالبها بكتفائه ..  
تلوم بحزن لا مثيل له ، بعد أن فقدت الرجل الذي أحببت مرتين ..  
مرة بزواجه ..  
ومرة برحيله ..  
ولم تستطع بلوغ مكتبها بالفعل ..  
عجزت لأنها عن حملها إلى هناك ، في ذلك اليوم ..  
إنها لم تعد تختل ..  
لم تعد تستعمل أبدا ..  
«صباح الخير يا (منى)» ..  
انتفض جسدها ، عندما بلغ هذا النداء مسامعها ، كما لو أنه قد  
انترعها من مبات صديق ، والتفت في حركة حادة إلى مصدره ،  
فهيئت بها صاحبه :  
« ما هذا ؟ .. لست أفطنى مغزعا إلى هذا الحد ..  
زفرت لتلفظ عنها ذلك التوتر ، الذي لم تجد له تبريرا ،  
وحاولت أن تبتسم في شعوب ، وهي تقول :  
« معذرة يا (كبرى) .. لقد التزعتني من شروذي لحسب ..  
تطلع إليها شغفا ، وقال في صوت خافت حنون :  
« ألم يسن الوقت بعد ، لتطرح كل هذا الحزن جانبا ؟  
قاومت رغبة عارمة في البكاء ، وهي تقول :  
« ربما فيما بعد يا (كبرى) .. ربما فيما بعد ..

ارتفع من خلفهما صوت مرح ، يقول :  
« ما هذا الذي ستؤجلاته لما بعد ؟  
اتلفقا معا إلى صاحب الصوت ، وعقلت (منى) حاجبها في  
ضيق ، في حين قال (كبرى) ، وهو يبتسم ابتسامة هائلة :  
« صباح الخير يا (حسام) .. كيف حالك ؟  
أجابه (حسام) في مرح :  
« إنني في خير حال ، ولكن عزيزتنا (منى) ما تزال ترائي ثقيل  
الظل ..  
قالت (منى) في ضيق واضح :  
« من وضع في رأسك هذه الفكرة ؟  
أجابها بجدية معالجة :  
« أسلوبك هذا ..  
لم تنس بيت شط ، لأنها تعلم أنه على حق ..  
إنها لا تدرى حتى لماذا تعلمه بهذا الوفاء ؟ ..  
لماذا ترفض وجوده ؟ ..  
ألأنه يحتل نفس الموقع ، الذي كان يحتله (أدهم صبرى) من  
قبل ؟ ..  
ألأنه يحمل لقب (ن - ٢) ؟ ..  
أم لأنه طلب الزواج منها ؟ ..  
« لماذا يا (منى) ؟ ..  
مرة أخرى انتفضت لكون سبب واضح ، عندما قال (حسام)  
هذه العبارة ، ورفعت عينيها إليه في ارتباك ، وهي تقول :  
« لماذا ماذا ؟

سألها في ضيق :

- لماذا تكرهينني إلى هذا الحد ؟

نقل ( قدرى ) بصره بينهما ، قبل أن يقول في حرج :

- (منى) لا تكرهك يا (حسام) ، ولكن ..

فاطمه (حسام) في صرامة :

- دعها تجيب بنفسها .

ارتبك (قدرى) ، ولم يدرك ماذا يفعل ، في حين غمضت (منى) :

- هذا صريح يا (حسام) .. لمست أفكارك ، ولكن ..

حاولت أن تجد جواباً منطقياً شافياً ، ولكنها عجزت عن هذا ،

فأكمل هو في حدة :

- ولكنني احتل مواقع الرجل الذي أحببت .. أليس كذلك ؟

خلفست عينيها ، لتغطي تلك الدمعة ، التي ترقرت في عينيها ،

وهي تقول :

- اعذرنى يا (حسام) .. إني ..

فاطمه في صرامة :

- لا داعي .. لن أطفاليك بتبرير مشاعرك ، فهي من حقك

وحقك .

صمت لحظة ، قبل أن يشفيق :

- ولكن عليك أن تتعلمي تواجدى ، برغم أنفينا ، فهناك

مهمة تنتظروننا معا .

تهللت أسارير (قدرى) ، وهو يهتف :

- أخيراً .. أخيراً يا (منى) ستعودين إلى العمل .

أما هي ، فقد غمضت في توتر بالغ :

- مهمة ١٢

أوما (حسام) برأسه إيجابياً ، وقال :

- نعم يا (منى) .. لقد طلب السيد المدير مقابلتنا ، ليستد (الينا

مهمة جديدة .

وشره بصره ، وهو يشفيق في حزم :

- ولقد قررت أن أبذل قصارى جهدى في هذه المهمة ، حتى

يمكثني انتزاع القلب بجدارة .

رفعت في قلبي :

- القلب ١٢ .. أوى لقلب ؟

برقت ضياء ، وهو يجيب :

- لقب أسطورتك الراحل .. لقب الرجل .. رجل المستحيل ..

\*\*\*



## ٢ - المهمة ..

نقل مدير المخابرات العامة نظره، بين (حسام) و (منى)، وهما يجلسان على جانبيه، في حجرة العرض السينمائي، داخل مبنى المخابرات العامة، وقال في هدوء:

- قبل أن تبدأ المشاهدة، ينبغي أن تعلم أن مهمتكم ليست باليسيرة، بل إنها - في رأيي - أخطر مهمة للإدارة، في هذا العام.

برقت عيننا (حسام) في جذل، وهو يقول:

- إلى هذا الحد ١٢

أنا (منى) ففهمت:

- ليست أفرى في الواقع، ما إذا كنت أستطيع أن -

قاطعتها المدير في حزم:

- إنك تستطيعين.

عقدت حاجبها في ضيق، فأضالفت في صراعة:

- لقد عملت طويلاً في القسم الإداري، بعد عودتك من

(المكسيك)، منذ ما يقرب من العام ونصف العام، وحان الوقت

لعودتك إلى العمل الجاد، ونسيان العاضى كله، فحصلنا لا يخطر

هذه الوقتات العاطفية الطويلة.

استمعت إليه في صمت، ثم تمتعت:

- نعم يا سيدي .. أنت على حق تماماً.

وابشتم (حسام)، وهو يقول:

- بالتأكيد.

نقل المدير بصره بينهما مرة أخرى، ثم شبك أصابع كفيه أمام وجهه، وقال في لهجة حازمة كعائته:

- كلاهما يعلم أن عالم المخابرات ليس بالعالم السهل أو البسيط، وأنه يتجاوز أحياناً كل تعقيدات السياسة وملابساتها، وينفخس فيها حتى التنازع، في أحيان أخرى، ولكنه دائماً عالم غامض بالغ الخطورة.

قال (حسام) في هدوء، وبلهجة أقرب إلى العرج:

- إننا نعلم هذا.

تابع المدير، وكأنه لم يسمع هذا التطويق:

- ولأن عالمنا يحمل هذه السمة، فنحن نحتاج دائماً إلى معرفة

أسرار أجهزة المخابرات الأخرى، والاطلاع على ما توصلوا إليه.

في كل المجالات، حتى نكون دائماً على أهبة الاستعداد لمواجهة

هذه الأجهزة، إذا ما اضطربنا الأمر يوماً لغرض صراع ما معها،

ولهذا أنشأنا ذلك القسم، المتخصص في زرع بعض العملاء، في

أجهزة المخابرات الأخرى، مثل الـ (م. ج. ب. - بي. \*).

والـ (س. آ. - إيه. \* \*). و (المكتب الخامس) (\* \* \*).

و (المومناد) (\* \* \* \*). وغيرها ..

منأله (حسام) في اهتمام:

(\*) المخابرات السوفيتية.

(\*) المخابرات الأمريكية.

(\*) المخابرات البريطانية.

(\*) المخابرات الإسرائيلية.



- كلهم مصريون . أليس كذلك ؟

أوما المدير برأسه إيجابا ، وقال :

- بلى ، ولكنهم يتعايشون مع المجتمعات ، التي تم زرعهم فيها ، كما لو كانوا منها ، فيجعلون أسماء تتناسب مع تلك المجتمعات ، بل تاريخا متقنا ، يبدل قسمنا جهنا هاتلا ، لمنحه المصادقية المناسبة ، التي تتبح لميلنا الانغماس في المجتمع الجديد لسنوات وسنوات ، حتى يتجح في الالتحاق بأحد أجهزة المخابرات ، وهنا يبدأ عمله .

علا (حسام) يسأله ، في اهتمام أكثر :

- وهل تتعلق مهمتنا بأحد هؤلاء العملاء ؟

أوما المدير برأسه إيجابا ، للمرة الثانية ، وهو يشير بيده إلى فني العرض السيماني ، قائلا :

- بالتأكيد .

أفلمت القاعة تماما ، وسقط ضوء آلة العرض على الشاشة ، لينقل صورة رجل أشقر ، أزرق العينين ، في أوائل الأربعينات من عمره ، يلهمك في رى عدة أحواض من الزهور ، في حديقة فيلا أنيقة ، وقال المتبر :

- هذا هو ميلنا في (سي - أي - إيه) .. إنه أمريكي العظمير كما تلاحظان ، ولكنه مصري صميم ، من قمة رأسه ، وحتى أعين أصافه ، ولقد قضى نصف عمره في الولايات المتحدة الأمريكية ، حاملا اسم (هارولد مين) ، ومتعاملا كأي أمريكي خالص ، حتى أمكنه أن يتخرط في المخابرات المركزية الأمريكية ، منذ خمسة أعوام ، بعد جهدهم ، منه ومن قسم زرع العملاء ، وأصبح أهم رجالنا في الولايات المتحدة الأمريكية على الإطلاق .

صمت ليلتقط نفسا عميقا ، قبل أن يضيف في ضيق واضح :

- حتى أسبوع مضى ..

سألته (منى) في قلق :

- وماذا حدث في هذا الأسبوع ؟

مط شفتيه في أسف ، وقال :

- يبدو أنه قد ارتكب خطأ ما ، في مرحلة سابقة ، أثار شكوكهم بشأنه ، وظهرهم إلى مراقبته وتتبعه ، حتى ألفوا القبض عليه مثلثنا بنقل بعض معلوماتهم إلى أحد رجالنا في (نيويورك) ، وحاول رجلنا الهرب ، ولكنه لقي مصرعه ، برصاصات رجال المخابرات الأمريكية ، وبقي (هارولد) في أيديهم .

هتف (حسام) :

- يا إلهي !.. هذا سيثير حنقا أزمة دبلوماسية خطيرة .

هو المدير رأسه ، وتنهّد قائلا :

- لا .. ليس بعد لحسن الحظ .. صحيح أننا لمعنا أحد رجالنا ، في هذه العملية ، ولكننا كنا قد احتطنا للأمر ، فلم يكن يحمل - عند مصرعه - أي شيء يمكن أن يشير إلى اتعانه .. شابه كانت أمريكية الصنع ، وسيارته مستأجرة باسم إيطالي ، وحجرته بالفلدق تحمل اسما فرنسيا .. وحتى ملاصقة لم تكن شرقية مثالية .. ولكن المشكلة هي أنهم قد اعتكفوا (هارولد) ، وسحاولون حقا معرفة هويته ، وكل ما يعلمه عنا ، وعن وسائل الزرع ، والتدريبات اللازمة .. باختصار ، سيحاولون معرفة كل ما يتعلق بوسائلنا ، كما كنا سنفعل ، لو حدث العكس .

سألته (منى) :

- ألا توجد خطة بديلة ؟

أجابها المدير :

- بالتأكيد .. التدريبات التي تلقاها ( هارولد ) تحتم عليه أن يبذل قصارى جهده لاحتمال وسائل الأمريكيين في الاستجواب ، حتى تتضبط قدرته على الاحتمال ، وهنا يعلن أنه إسرائيلى الجنسية ، مع قصة أخرى محكمة ومعتقة ، يمكنها إقناعهم أنه كذلك بالفعل .

سأله ( حسام ) فى حذر :

- أنتظن هذا يقتنعهم ؟

هل المدير كئيبه ، فأنشأ :

- ليس طويلاً .. ولكنه سيضيع بعض الوقت على الأقل ، حتى نتجح فى استعادة رجلك .

قال ( حسام ) فى خزم :

- أو لفته .

أثارت ( مى ) رأسها إليه فى حركة حادة ، والاستتكار يعلا على غلجة من خلجاتها ، فالتفتى حاجبها فى صرامة ، وهو يقول :

- إننا لن نتركه لينقل إليهم أمرنا .. أليس كذلك ؟

قالت فى حدة :

- لو كان ( أدم ) فى مكانك ..

فأطعها المدير فى لهجة قاسية :

- أخطئ أن ( حسام ) على حق هذه المسرة يا ( مى ) .

و ( هارولد ) نفسه يعلم هذا ، والتدريبات التي تلقاها تجعله يتقبل الأمر كحل حتمى .

قالت فى الغمائل :

- لو فشلنا فى استعائته .

أطلق المدير من أعماق صدره زفرة حارة ، وقال :

- لنعظم أن تلجأوا فى هذا ، فالأمر ليس فينا ، إذ أنه لا يقتصر على أن ( هارولد ) بين يدي واحد من أقوى أجهزة المخابرات فى العالم فحسب ، بل يمتد أيضاً إلى أننا نجهل تماماً أين يحتفلون به . رفع ( حسام ) حاجبيه فى دهشة ، ثم عاد يخفضهما ، وهو يقول فى سخوية :

- يالها من مهمة !

هل المدير رأسه مؤبداً ، وأشار مرة أخرى إلى الشاشة ، وهو يقول :

- ولكن لدينا بعض المعلومات ، التي قد تليكنم فى هذا الشأن ، لهذا الذى ترونه على الشاشة الآن ، هو ( جيمس فومستر ) ، المعروف باسم ( نعلب المخابرات الأمريكية ) ، وهو المسئول عن هذه العملية . حينما بلغنا ، وعن طريقه ، يمكنكم التوصل إلى ( هارولد ) .

تطلع ( حسام ) و ( مى ) فى اهتمام إلى صورة الرجل الأشيب ، المتهن البليان ، النحاد النظرات ، الذى يبدو على الشاشة ، مستطرقاً فى صيد الأسماك ، عند شاطئ إحدى البحيرات ، وشغفهم ( حسام ) :

- من ذا الذى يجهل ( جيمس فومستر ) ؟

انتهى العرض ، وأصبحت الأضواء إلى القاعة ، فنهض المدير قائلاً :



- كما قلت من قبل : مهمتكما هي أصعب مماواجه الإدارة ، منذ زمن طويل ، ولقد قُدرَ خبراوتنا أن (هارولد) يمكنه الاحتصال لأسبوع كامل ، ثم يلقي قصته الزالفة ، التي يحتاج رجال الد (مى) - أى (يه) إلى أسبوع آخر لتفنيدها ، والتحقق من صحتها أو كذبها ، وهذا يعنى أن أمامكما أسبوعين لحصص المهمة ، دون خطة موضوعة مسبقا ، وبكامل الحرية فى التصرف والأداء . وصمت لحظة ، وهو ينقل بصره بينهما ، قبل أن يتابع :

- إنها مهمتكما .. فلا تخطأنا .

قال (حسام) فى حزم :

- لن نخطئك يا سيدى .

وأضافت (منى) :

- بإذن الله .

وبكالت البداية .

\*\*\*



تطلع (حسام) و(منى) لى اهتمام إلى صورة الرجل الأنثى .  
المجن البنيان ، الحاد النظرات ، الذى يبدو على الشامة .

### ٣ - الصراع ..

انطلقت عصا (جيمس فومستر) في بقعة ، لتضرب كرة (الجولف) الصغيرة ، وتدخلها في الهواء على شكل قوس طويل ، تستقر إلى جوار حفرة صغيرة ، على بعد أربعين متراً تقريباً . ترتفع منها راية صغيرة ، لتحديد موقعها ، وتطلع (فومستر) بمنظاره المقرب إلى موضع الكرة ، قبل أن يمسك شفتيه ، متمتماً :  
- لا بأس .

ابتسم الرجل الواقف إلى جواره ، وقال :

- إنني أراها ضربة رائعة .

هز (فومستر) كتفيه ، وقال :

- ولكنها لم تستقر في الحفرة نفسها .

لهقه الرجل ضاحكاً ، وقال :

- هكذا أنت دائماً يا (فومستر) .. لا ترضى إلا بالفوز المطلق .

رمقه (فومستر) ببوادة من نظراته الحادة ، وهو يقول :

- هذا ما ينبغي أن يطمح إليه كل رجل ناجح .

رأى الرجل على كتفه ، وقال :

- وينبغي له أيضاً أن يقبل ما يصل إليه ، لو لم ينجح له الفوز

التام .

هز (فومستر) كتفيه مرة أخرى ، وقال :

- هذا رأيك .

كان الرجل يرغب في مواصلة الحوار مع (فومستر) ، لولا أن ظهر أحد رجال هذا الأخير ، بمنظاره الداكن ، وجسده الضخم ، وهو يتجه إليهما في خطوات واسعة ، فقال الرجل ، وهو يجمع أدواته ، قائلاً :

- فليكن .. سنناقش هذا فيما بعد يا (فومستر) ، فقد حضر أحد شياطينك ، ومن الواضح أنكما تحتاجان إلى شيء من السرية . لم يناقشه (فومستر) في هذا الأمر ، وإن رمقه بنظرة أخرى من نظراته الحادة ، حتى انتهى من جمع أدواته وانصرف ، فالتفت - عتدلاً - إلى الرجل الضخم ، وسأله :

- ما الأخبار ؟

تنحنح الرجل ، وأجاب :

- لم يعترف بعد .

التقى حاجباً (فومستر) في ضيق ، وهو يقول :

- لولا أنني دريتكم بنفسى ، لكنت إنكم أغبي رجال الجهاز .

تنحنح الرجل مرة أخرى ، وقال :

- لقد كان واحداً منا يا مستر (فومستر) ، وتلفسى نفس

تدريباتنا ، و....

قاطعه (فومستر) في حدة :

- ولو .. إنه بشرى على الأقل ، وما من بشرى يمكنه احتمال

ومثالنا في الاستجواب ، وأنت تعلم هذا جيداً .

قال الرجل :

- نعم .. أعظم ، وأعلم أيضاً أنه من المحتمل ألا تترك وسائلنا

هذه أية آثار واضحة على جسم من مستجوبه ، ولا فمن يرحمنا

رجال القضاء حينذاك ، ولا رجال الد (الف . بي . آي) (١٤) ، فمن  
المفروض أن يتولوا هم قضايا الجاسوسية الداخلية ، إذ أن قرار  
الكونجرس الأخير ، يمتنع من العمل داخل البلاد .

آمال (الموسم) في صراحتة :

أعلم هذا .

رفع مضرب الجولف ، وأخذ يلوح به لحظات في صمت ، قبل أن يسأل الرجل :

٢ - هل نقلتم الرجل إلى المقول الثاني ؟

أومأ الرجل برأسه إيجاباً ، وقال :

- نعم .. إننا نقله إلى منزل آمن جديد .. كل ثلاثة أيام ..

بعضی اواخر ک، وائ

بتر عبارتہ دفعہ و اعدہ، آسمانہ (فوسٹر) :

— وایں مالڈا ؟

توفد الرجل لحظة، ثم هل كتبه، وقال:

- وإن كنت أجد هذا نوعاً من المبالغة في التحذير ، فـ ( غار ) لئلا

نفسه لم يكن يعلم أماكن هذه المنازل الآمنة ، ولا

(المستتر) في، مضمون:

أفذا ما علمتكم إياه ؟ لا يا (داتو) .. في علمنا ، المبالغة  
في الحفر الغضل ألف مرة من التهاون ، والشكوك أكثر فائدة من

عَدَدُ بَلَوِّ حِجَابٍ : مَسْقُوطٌ وَآ :

هذا الرجل يلتقي إلى جهاز مطايرت ألف با (دانس) .

مـ يخاول - حتى الرمي الأخير - إطفاء اسم هذا الجهاز ، وبعدها

سيمرّد على مناعتنا قصة كاثبة ، حول انتحاله إلى جهاز مخبرات آخر على الأرجح ، في محاولة لتسبب بغض الوقت ومن المحتم أن جهاز المخبرات ، الذي ينتمي إليه هذا اللوح ، سيقبل أقصى جهده لاستعادته ، وإنقاذ من بين أيدينا ، أو قتله لو اقتضى الأمر ، ومن الضروري أن نجعل مهمتهم هذه وعرة ، شديدة الصعوبة ، وأن ننجح في التناصمهم ، قبل أن يفلتوا غايتهم .

ابتسم (دانی) + وقال :

- هذا لن يتأتى بالمبالغة في إجراءات الأمن .

شرد بصر (فوسٹر) لحظاتی : وهو يقول :

— إن يدعوا أفكارهم لهم هذا الشيطان يا (الشيخ).

والتصويت على كون شغبه امتداداً باهتة لها، لم يستطع.

وَأَمَّا كَيْفَ رَأَى مَسْجِدَ الْكَلْبَةِ فَكَانَ

— دعني ألقِ النظر السريعة بـ

1

★★★

• العقد عائد (أرستر) إلى منزله...

قالها (حسام) فر. اهتمام شديد ، وهو يضع منظاره المكبر

علم عتيبه ، داخل تلك المنزل ، الذي استأجره ، لم يواجهه

مَنْزِل (فوسن) تَمَامًا، وَاصْطَلَحَتْ بِهَذَا (تَمَامًا) وَهِيَ:

— ۳۰ —

— واهل بيوتكم هكذا

راجع منظومه نغم عینیه او المثلث بلنیا، المثلث فی یروہ :

— هل تقترحين وسيلة أخرى؟ — إننا نجهد كل شئ



نعرفه عن القضية كلها ، هو أن (جيمس فومستر) هو المسئول عن هذه العملية ، ولا توجد وسيلة إذن ، سوى مراقبة (فومستر) اللعين هذا ليلاً ونهاراً ، حتى يمكننا التوصل إلى (هارولد) ، إلا إذا كان لديه الاقتراح الآخر .  
أثارت بنفس الهدوء :

- المراقبة وحدها لا تكفي .. إننا نحتاج إلى إحصاء أنفسه ، لو اقتضى الأمر ، فقد لا نذهب أبداً إلى حيث يحتفظون به (هارولد) . بل يمكننا بإلقاء أوامره إلى رجاله فحسب .  
سألها في عصبية :

- وماذا نفعل في هذه الحالة ، أينها الصغيرة ؟  
أثارت في عصبية :

- نتصل إلى منزله .. إلى لادى (الجولف) الذي يشترك فيه .. نزرع أجهزة تصنت في عائلته ، وسيارته ، وكل مكان من منزله ، وحتى في علبه أدوات الجولف .. المهم أن نعثر على (هارولد) قبل مضي الفترة المنشودة ..  
هتفت في حدة :

- أعلمين أي أمر هذا ، الذي تطالبينني به ؟ .. إنك تطالبين منى - ويكل بمسألة - اقتحام منزل (جيمس إدوارد فومستر) نائب مدير جهاز المخابرات المركزية الأمريكية ، وزرع أجهزة تصنت في كل مكان فيه ، كما لو كان حقلًا خالياً ، نزرع فيه بعض شتلات التبرتقال .. لا أينها الزميلة العزيزة .. إنك في الواقع تطالبين المستحيل .

استمتت في حديث ، وهي تقول :

- وماذا في هذا .. ألسنت تصنع للحصول على اللقب ؟  
سألها في توتر :  
- أي لقب ؟  
أجابته :  
- رجل المستحيل .

شعرت وهي تنطقها أنها ترتكب جرماً في حق (أدمم صبرى) .. الرجل الوحيد الذي حمل يوماً هذا اللقب ، ولكنها ، وعلى الرغم من رغبتها الشديدة في نجاح المهمة ، كانت تشعر بشيء من السعادة ، لأن أحداً لا يمكنه بلوغ مقبرة (أدمم صبرى) ..

ولكن (حسام) شعر بالتحدي ..  
وسع الالتصاق حاجبيه ، تفجرت في أعصابه روح الصراع والتحدى والغضب ، فاعتدل قائلاً :  
- صدقت .. لا بد من العمل ، للحصول على ما يبتغيه المرء .  
وأراح منظره المقرب جانباً ، وهو يضيف :  
- الليلة سننقل الصراع إلى منطقة التحدي .  
وانتصبت قلته في اعتدك ، وهو يضيف :  
- والخطر ..

\*\*\*

شكك مدير المخابرات المصرية أصابع كفيه أمام وجهه ، وألقى حاجباه في تفكير صامت عميق ، ورسم اللقي خطوطه الواضحة على ملامحه ، معاً حذا بمساعدة إلى أن يسأله :  
- أهذا ما يستحق كل هذا ؟

التفت إليه المدير في سرود لخطي ، ثم لم يلبث أن تلاشى ، وهو يقول :

نعم .. أعتقد هذا .

سأله مساعده في اهتمام :

وما هذا الشيء ؟

هو المدير رأسه لحظات ، قبل أن يقول :

قضية (هارولد دين) .. أعتقد أن (حسام) و(منسى)

يمكثهما النجاح ، في مثل هذه المهمة ؟

أجابته المساعده :

.. ولم لا ؟ صبرج أنها ليست مهمة سهلة ، ولكن (حسام)

هذا أثبت تفوقاً ملحوظاً في تدريباته كلها ، ثم أنه داعية حقيقي ،

وأراهن أنه يستطيع مواجهة كل رجال المقابرات الأمريكية .

مط المدير شفتيه ، وقال :

لاداعي للمبالغة ..

قال المساعده في حماس :

.. ولماذا تعتبرها مبالغة يا سيدي ؟ ألم نحقق انتصارات

أعظم فيما مضى ؟

أوما المدير برأسه إيجاباً ، وقال :

.. كان هذا فيما مضى .

هذا الضيق على وجه المساعده ، وهو يقول :

.. نلصد في الأيام الذهبية لـ (أدهم صبري) .. أليس كذلك ؟

هو المدير كتفيه ، قائلاً :

ربما .

لوح مساعده بكتفه ، وقال :

.. أعلم أنك لم تسمع بعد ذلك الرجل ياسيدي . وأنتك تشعر بعد

رحيله بخواء كبير ، في قسم الأعمال الخارجية والمهمات

الصعبة ، ولكنها حتمية الكون ياسيدي .. لكل شيء نهاية ،

و (أدهم صبري) هذا مجرد بشر ، ومصير البشر كلهم الفناء ،

والحكمة القديمة تقول : « لا يوجد من لا يمكن الاستغناء عنه »

كما أن القبور مليئة بأولئك ، الذين ظنوا أن الحياة لن تسير بدونهم

.. كلهم فنوا ، وانتهوا ، وواصلت الحياة طريقها ، و...

قاطعه المدير بإشارة من يده ، وهو يقول :

.. حسناً .. لاداعي لهذه المحاضرة الطويلة .. أعلم أن (أدهم

صبري) قد انتهى ، وأن (حسام حمدي) هو رجلنا الجديد ، للمهام

الصعبة والمستعجلة ، ولكن من الطبيعي أن أشعر بالقلق ، وهو

يقوض أولى عملياته المعسرة ، فعلى الرغم من تفوقه الكبير في

كل الاختبارات والتجربات ، فالمعدل اللغوي يختلف كثيراً ، إذ أنه

يحتاج إلى مزيج من الحكمة والخبرة والتفوق .

قال مساعده في حزم :

.. سترى أن (حسام) سيحقق نجاحاً مدعشاً ، في المهمة .

صمت المدير لحظات ، ثم قال في خفوت :

.. هذا ما أتمناه .

وصمت لحظة لفردى ، ثم استطرد :

.. أعتقد .. لو حقق (حسام) ، في مهمته هذه ، ذلك النجاح

الذي نرجوه ، فلن أتردد في أن أمنحه بنفسى لقب (أدهم صبري)

السابق .

وامتلاً صوته بالحزم ، وهو يضيف :

.. لقب (رجل المستحيل) .

كانت عقارب الساعة تشير إلى الواحدة بعد منتصف الليل ،  
عندما أوقلت (منى) سيارتها الرياضية الأنيقة ، أمام منزل  
(جيمس فوستر) مباشرة ، وهي تضع على رأسها شعراً أشقر  
مستعاراً ، وعلى عينيها عسنتين زرقاوين ، وتبالغ في وضع  
مساحيق وجهها ، مع ثوب زاهي الألوان ، وغادرت السيارة  
موجهة إلى المنزل ، وهي تلقي نظرة هاندة على حارسه ، اللذين  
امتدت أيديهما إلى ستراتهما المنطقة ، تحفظاً لأي طارئ ..  
وهي هدوء مثير ، قالت (منى) بالأمريكية ، وهي تضحى على  
حروفها لكثة ذات نهائيات مطبوعة متعقبة :

- أريد مقابلة مستر (فوستر) .

سألها أحد الحارسين في خشونة :

- أهاك موعد سابق ؟

هزت رأسها تلقياً ، وقالت :

- لا ، لم أطلب تحديد مواعيد سابقة ، ولكنني اعتقد أن مستر

(فوستر) سيوافق على مقابلتي .

ابتسم الحارس الثاني في مسخرية ، وهو يقول :

- ومن أعتقد بهذه الفكرة الغبية .

رمقته بنظرة ساخرة بدورها ، وهي تقول :

- (هارولد) .. (هارولد دين) .

التقى حاجبا الحارسين ، وتبادلا نظرة خاصة ، ثم سألها الأول  
بنفس الخشونة :

- من أنت ؟ ..

قالت في صرامة :

- أخبر مستر (فوستر) أنني أريد في مقابلته . بشأن  
(هارولد دين) .

رمقها الرجل لحظات بنظرة حادة ، ثم التفت جهاز اللاسلكي  
الخاص به ، وقال دون أن يرفع عينيه عنها :

- هناك امرأة تطلب مقابلة مستر (فوستر) ، ونقول : إن هذا  
بشأن (هارولد) .

قالت في برود :

- قل : سيدي أيتها الوقح ، ولا تقل : (مرأة) .

عاد يرمقها بنظرته الحادة ، وهو يلمص جهاز اللاسلكي  
بأنفه . ليستمع إلى الجواب ، ثم لم يلبث أن قال :

- سيمنقبلك مستر (فوستر) على الفور .

ابتسمت في مسخرية ، قلقة :

- ألم ألك لك ؟

انفعدت حاجباه في صرامة ، وهو يقول :

- سيتم تقنينك أولاً .

تراجعت قائلة في حزم :

- إن أسمع لأحكم بلمسى .

ابتسم ساخراً ، وهو يقول :

- اطمئني .. لن يلمسك أحد .



والفتح باب المنزل ، ودعاها للدخول ، ولم تكد تعبر الباب ،  
حتى ارتفع أزيز متصل ، فتوقفت لحظة ، ثم عاودت السير .  
وهي تقول :

- إنه جهاز كشف أسلحة . أليس كذلك ؟

نعم :

- نعم .. وهو ليس وسيلة الفحص الوحيدة ، لمعظم الأسلحة  
تصلح من البلاستيك والألياف الزجاجية الآن . في (ثايوان)  
(سنغافورة) ، (و. هونج كونج) ، وأصبح من السهل خداع  
جهاز كشف الكتب (\*) .

سألته منقرفة :

- وما الأشياء الأخرى التي ستعبرها ؟

أجابها وكأنه يتباهى بقوته :

- الكثير .. هناك جهاز لأشعة (رونجن) (\*) ، وجهاز

كشف أجهزة التعتصم ، وغيرها ..

تعتمت :

- عظيم .. هل يشعر رايستك بكل هذا الخوف ، طيلة الوقت ؟

رمقها بلقمة نارية ، دون أن يجيب ، وظل على صمته هذا ،  
وهما يخبران العمر الطويل ، وأزيز الأجهزة المختلفة ينطلق ، من  
لحظة إلى أخرى ، حتى بلغا باباً كبيراً ، دفعه الرجل ، قائلاً :

(\*) عذوبة

(\*) أشعة (رونجن) : هي الأشعة المعروفة باسم أشعة (x) ، أي الأشعة  
السيئة ، واسم أشعة (رونجن) ينسبها إلى مبرعها .

- انخلي .

- عبرت (منى) الباب لتجد أمامها (فوستر) مباشرة . يقف  
داخل مكتبة ضخمة ، تكتظ بالآلاف الكتب والمراجع ، ويرملها  
بوحدة من نظرائه الحادة ، قائلاً :

- مساء الخير ياسيفتى .. أم هل أقول صباح الخير ؟ إنها  
الوحدة صباحاً تقريباً .. أليس كذلك ؟

هزت كتفها ، قائلة :

- تست أرى ، فلا أمل إلى ارتداء ساعات اليد .

قال في برود :

- عجباً .. هذا يتعارض تماماً مع نظم العمل في المكابرات .

أطلقت ضحكة قصيرة ، قائلة :

- حقاً ؟

ثم جالت ببصرها في المكان ، مستغرقة :

- ألا يوجد مكتب واحد ، يصلح للجلوس ؟

أجاب وهو يفحصها بنظرائه الحادة :

- أتظنين أن حديثنا سيحتاج إلى كل هذا الوقت ؟

هزت كتفها دون أن تجيب ، فسألها :

- ما علاقتك بـ (هارولد دين) ؟

قالت على الفور :

- كم تطلب أنت ثمناً له ؟

ارتفع حاجباه في دهشة ، وهو يقول :

- ثمناً له ؟ .. أى قول هذا ياسيفتى .. أنت ركن حقاً طبيعي

الموقف ؟

- عظيم .. بعد دقيقة واحدة ، ويضع ثوان ، سيلجئ الجناح  
الكلبي لمنزلك .

تراجع عائداً :

- ماذا ؟

قالت بانسامة وانقة :

- انتظر .. وسعري .

اتخذ حليها في شدة ، وهو يطلع إلى ساعته ، ثم اندفع إلى  
باب المكتبة ، وهتف بأحد رجاله :

- (توم) .. قف على باب الحجرة ، ولا تسمح لتلك السيدة  
بالخروج .

واندفع خارج المكان ، تاركا (مسي) وحدها ، وأغلق الباب  
خلفه في احكام ..

وحيا ألقت (مسي) نظرة سريعة على باب الحجرة ، ذلك الذي  
يلود إلى خارج المنزل ، والآخر الذي يلود إلى داخله ، ثم أسرع  
إلى النافذة ، لاقتحتها على مصراعها وضمخت :

- أتضمن أن يكون تصويبك دقيقاً يا (حسام) ، مثل ..

بترت قولها ، وارتسمت في ذهنها صورة (أدم) لحظة ، قبل  
أن تهز رأسها في قوة ، قائلة :

- لا .. ينبغي أن يحصل (حسام) على فرصة كاملة .

مضت اللحظات بالنسبة إليها أشبه بالدهر ، وأصوات تلك  
الاضطراب ، الذي أصاب المنزل ، تبلغ سامعها ، وبدا لها من  
الواضح أن (هوستر) ورجاله يحاولون إخلاء الجناح الكلبي من  
الرجال ، ومن الأشياء الهامة ، قبل حدوث الانقلاب ، و ..

أصوات برأسها إيجاباً ، وقالت :

- بالطبع . وأدرك أن هذا يتعارض تماماً مع طبيعة عملنا .

ولكن ..

فانطعها في حزم :

- إلى أية دولة تنتمين ؟

لمهكت ضاحكة ، وهي تقول :

- ياله من سؤال !.. أتتوقع الحصول على الجواب في سهولة ؟

قال في ضراصة :

- يمكنني الحصول عليه بوسائل أكثر صعوبة .. لك .

لمهكت ضاحكة مرة أخرى ، وقالت :

- لا تحاول إيهائي وإيهابي يا مستر (هوستر) ، فمن المؤكد

أنني لم أحضر لمقابلتك ، دون تأمين موافقي .. أليس كذلك ؟

قال في حدة :

- وماذا يمكنك أن تفعلني ، لو ألقيت القبض عليك الآن ؟

هزّت كتفها مرة أخرى ، وقالت :

- بالنسبة لي لن أفل شيئاً ، ولكن رفاقي سيلفون .

قال في حذر :

- ولمفون ماذا ؟

سأنته :

- قل لي أولاً : كم الساعة بالضبط ؟

ألقي نظرة سريعة على ساعته يده ، وقال :

- الواحدة وتسع دقائق ، إلا يضع ثوان .

هتكت :

ودوى الانفجار ..  
 انفجار مكتوم ، دوى بارتجاج خفيف ، هتفت معه (منى) :  
 - الآن ..  
 وهي نفس اللحظة رأت ما كانت تتخظه ..  
 سهم عالى ، يشق الهواء ، فى اتجاه النافذة ..  
 ثم يعبرها ..  
 وعند لمسها ، ارتطم السهم بالأرض ، وانكسر إلى نصفين ،  
 وسقط منه كيس صغير . أسرع (منى) لتلقطه ، وهي تهتف فى  
 حيرة :

- رائع يا (حسام) .. رائع .  
 فتحت الكيس فى سرعة ، والتفتت من داخله جهاز فى تصنت  
 صغيرين ، أسرع تدس أحدهما فى المكتبة ، والآخر عند  
 الحائط المتصل بالمنزل من الداخل ، ثم عادت تطلق النافذة ،  
 وتحطمت السهم إلى قطع صغيرة . ألقتها فى حقيبة يدها  
 الصغيرة . وطوت الكيس إلى جوارها ، وأغلقت حقيبتها . فى  
 نفس اللحظة لفتت دفة فيها (فوستر) باب الحجرة ، وقال فى  
 حدة :

- أى عبت هذا ؟

كانت تشعر بتوتر شديد ، ولكنها أرغمت نفسها على  
 الابتسام ، وهي تقول :

- أتقصد أن القنبلة لم تنفجر فى الجناح الخلفي ؟ .. بالطبع  
 يا ماستر (فوستر) .. لقد انفجرت على بعد أمتار منه .. أليس  
 كذلك ؟ .. لقد قصدتا هذا يا ماستر (فوستر) . فنحن لا نرغب فى  
 مناصبتك العداء ، بل نحاول تنبيهك فقط إلى اللامسئولية المبتلىين أو  
 المهملين ، وأن التفاوض معنا خير من قتالنا .



والدفع خارج المكان ، تاركاً (منى) وحدها ، وأغلق الباب خلفه فى  
 أحكام .



رميها بنظرة حادة طويلة صامتة . ثم قال :

- ومن أنتم بالضبط ؟

احتلت قائلة :

- ستعلم فيما بعد .

ثم استدارت مستطردة :

- أما الآن ، فسأصرف .. و ..

قفز نحوها ، وأمسك يدها في قوة ، خائفاً :

- مهلاً .. الاتصاف من هنا ليس هيناً كما تظنين .

قالت في صرامة :

- وماذا ستفعل ؟ .. هل تعتقلني أم تقتلني ؟

صمت متطلفاً إليها ، فأضافت :

- ولتعلم أنني أحمل جواز سفر دبلوماسياً ، ولقد تم التنازل فيلم

كامل لي ، وأنا أدخل إلى منزلك . ولست أفكر في تركيها في بعض

المشاكل الدبلوماسية يا مستر ( فوستر ) .. أليس كذلك ؟

بدا الغضب على وجهه ، وأصابعه تتغرس في ثراعيها بقوة ،

ثم لم يلبث أن أفلتها ، قائلاً في حدة :

- فليكن .. يمكنك الاتصاف ، ولكن حذار .. فلن تجدي هذه

الحيلة شيراً واحداً للاقتلاء بنفسك ، في الولايات المتحدة

الأمريكية كلها .

قالت في صرامة :

- حذار أنت من أن تدفع رجالك لمراقبتي ، وإلا :

قاطعها في غضب :

- وإلا ماذا ؟

ابتسمت في سخرية ، وقالت :

- ستعلم فيما بعد .

تطلع إليها في صمت خاد ، ثم ضغط زرّاً صغيراً خفياً ، فظهر

الرجل الذي قاد ( مني ) إلى الداخل . وقال له ( فوستر ) :

- اصحب السيدة إلى الخارج ، ودعها تنصرف دون

مشاكل .. هل تفهم ؟

أوما الرجل برأسه إيجاباً ، وقال :

- المهم يا سيدي .

لوحث ( مني ) يكفها له ( فوستر ) . قائلة :

- سنلتقي فيما بعد يا عزيزي ( فوستر ) .

تركتها ( فوستر ) تنصرف ، ثم انعقد حاجبها في شدة ، وأدار

عينيها في المكتبة ، قبل أن يفهم :

- لا يمكنك خداعي أبداً أيها المرأة .. لقد أنتيت إلى هذا العمل

ما ، وسأعلم حتماً ما هو .. لا يمكنك خداع ( جيمس فوستر )

أبداً .. أبداً ..

والصمت عياف بهريق حاد مخيف ..

بهريق يجعل لون الخطر ..

ورائحة الدم ..

\*\*\*

## ٥ - خدعة ..

ساد الهدوء التام ملاعب الجولف ، في الثالثة صباحاً ، وكان من العسير أن ينتبه مخلوق واحد إلى ذلك الشاب ، الذي عبر سور الملاعب في مرونة ، وانطلق يعدو فوق الحشائش القصيرة في خفة ، مقترباً من المبني الرئيسي ، في ركن المساحة الخضراء الشاسعة ، حتى بلغ باب العيني ، فالتحنى يعالج رتاجه في مهارة يجسد عليها ، حتى استجاب له الرتاج ، وانزلق بصوت مكتوم ، فدفع الشاب الباب ، ودلف إلى المبني في حركة سريعة ، ثم أغلق الباب خلفه ، والتصق بالحائط في صمت ، وهو يرهف سمعه جيداً ..

ثالثت خطوات حارس المكان تبدو واضحة ، وهو يسير في المعشى المجاور جيدة وذهاباً ، ثم يفتح بعض الخجرات لتلقدها ، قبل أن يعاود سيره ..

وكان من الواضح أنه حارس نشط ، إذ أنه لم يتوقف عن الحركة طيلة نصف ساعة كاملة ، قضائها الشاب ملتصقاً بالحائط .. مستتراً بظلام الركن الذي يختبئ فيه ، حتى تمكن في ضيق ..

يبدو أنه لا مفر من الحركة ،

غادر موقعه في خفة ، مستغلاً ابتعاد الحارس ، وعبر المعمر الطويل في سرعة ، حتى بلغ حجرة محدودة مسبقاً ، فدفع بابها ،

ودخلها في سرعة ، ثم أغلق الباب خلفه في حذر ، وأخرج مصباحاً يدوياً ، صوبه إلى الحجرة التي تحوي عدة دولاب خشبية ، ذات واجهات زجاجية ، اصططحت داخلها حقايب أدوات الجولف ، وكل منها تحمل اسم صاحبيها ، وراح الشاب يقرأ الأسماء المدونة على الحقايب ، حتى بلغ تلك العقيبة ، التي تحمل اسم (جيمس فومستر) ، فابتسم في ارتياح ، متمتماً :

- ها هو ذا الهدف ..

أسسك المصباح بأسنانه ، وهو يعالج قفل الدولاب ، حتى فتحه ، مستخدماً أداة رفيعة ، ثم فتح الدولاب ، والنطق الخفيفة ، وأفرغ محتوياتها في حرص ، وانتزع قاعتها الداخلية في عناية ، وأخرج من جيبه أداة تصنت دقيقة ، ثبتها في ركن العقيبة ، ثم أعاد القاعدة الداخلية إلى موضعها ، وغاد يصف المحتويات داخل العقيبة ، وأعادها إلى مكانها داخل الدولاب ، قبل أن يعيد إغلاقه بمنتهى الحرص ، و...

ولجأة انفتح الباب ، وارتفع صوت الحارس ، وهو يهتف في دهشة :

- ماذا تفعل هنا ؟

قالتا الحارس وهو يلتزع مستعس ، من جرابه المثبت بهزامه ، ولقن (حسام) تحرك في سرعة وخفة ، وفلّز نحو الحارس ، ثم ركل المستس من يده ، وهو يقول في صرامة :

- تسألني ماذا تفعل هنا ؟

وهو على فمه بكلمة عقيلة مستطرداً :

- ياله من سؤال وقح !

كانت الكلمة قوية بالفلح كالقنبلة ، فاندفع الحارس إلى الخلف في عتف ، وارتطم بالحائط ، ثم ارتد إلى الأمام ، فاستقبلته قبضة (حسام) بكلمة أشد قرة ، وهو يقول :

.. لن أخبرك عن السبب بالطبع .

سقط الحارس فاقه الوعي ، عند قدمي (جسام) ، الذي أراحه جانباً في هدوء ، ثم قال :

.. مواجهتنا هذه تفسد هدوء اللعبة بآرجل ، وتضطرني إلى تبديل خطتي بعض الشيء .

ثم اتجه في هدوء إلى حجرة مدير النادي ، وألقى نظرة على اللوحة المجاورة لمكتبه ، وابتسم قائلاً :

.. واستغلال بعض مهارتي الأخرى .

ثم اتجه إلى الخزنة ، وسحب مقعداً ، ليجلس أمامها في هدوء ، ويبدأ في معالجة رتاجها الإلكتروني ..

ويثبت مهارته ..

\*\*\*

لم تكد عوارب الساعة تشير إلى الخامسة صباحاً ، حتى دقعت (مسي) باب تلك المنزل ، الذي استأجرته المخابرات المصرية .

في مواجهة منزل (فونستر) ، وهتكت بـ (جسام) ، الذي جلس هادئاً في ردة المنزل ، ينقله مسعفه :

.. هل أنهيت مهمتك بنجاح ؟

أوما برأسه إيجابياً ، وسألها :

.. وماذا عن مهمتك أنت ؟

ألفت جسدها على مقعد مقابل له ، وهي تهتف :

.. كل شيء سار على ما يرام .. وأنت كنت راعياً ، عندما صوّت السهم إلى نافذة مكتب (فونستر) ، وأطلقته بهذه

المهارة .

ابتسم قائلاً :

.. يسعني أن فعلت شيئاً أثار إعجابك .

تابعت وكانت لم تسمع هذا التطبيق :

.. وعندما سمح لي (فونستر) بالانصراف ، أدركت أنه لن

يسمح بخروجي دون مراقبة ، على الرغم من أنه أمر رجاله

بهذا ، وكنت على حق ، فالعبارة البريئة ، التي ألقاها على مسامع

حارسه أمامي ، كانت تعني بلفتهم معنى مخالفاً تماماً لمنطوقها ،

إذ لم أكد أنطلق بالسيارة ، حتى انطلقت واحدة من سياراتهم

خلفي ، وهم يستكشفون مناهير للرؤية الليلية ، بحيث

لا يحتاجون إلى إضاءة مصابيح سياراتهم ، ولكنني لمحتهم ،

وكنت واثقة من أنهم قد دموا جهاز مراقبة في سيارتي ، في أثناء

وجودي مع (فونستر) ، ولهذا فقد قننت السيارة إلى منطقة

بعيدة ، ثم تركتها في موقف عام للسيارات ، ورحلت أروغ

المطاردين طيلة أربع ساعات ، فأدخل إلى مكان ما ، وأمر عبر

سطحه إلى آخر ، وانتقل من هيئة إلى هيئة . حتى نهجت في

تضليلهم تماماً ، ووصلت إلى هنا .

قال مبتسماً :

.. رائع .

ثم التقط نفساً عميقاً ، قبل أن يضيف :

.. الآن يمكننا مراقبة (جيمس فونستر) كقلبه ، فجهازي

التصلت ، اللذين تمت زراعتهما في منزله ، من القوة بحيث

يمكنهما نقل كل همسة تنور داخل المنزل ، وكذلك الجهاز الذي

نستنه في حقيبة الجولف .



سلطته في اهتمام :

- هل أخفيته جيداً ؟

أجابني :

- بالتأكيد ، ولكن الحارس الفخائسي ، بعد أن انتهيت من

مهمتي ، قد طُردت إلى إقصاءه الوعي .

هتفت في ارتياح :

- يا إلهي !.. ولكن هذا يفسد اللعبة كلها .

هز رأسه نكياً ، وقال :

- ليس تماماً ، فلقد لجأت عندئذ إلى حل بسيط ، إذ استوليت

على محتويات خزانة النادي ، بحيث يبدو الأمر كما لو أنني سهرت

لص عادى .

قالت في قلق :

- فلتنضم أن يقتنعوا بهذا :

هز كتفيه ، وقال :

- ولم لا ؟.. كل ما حدث ينطبق على أفعال النصوص تماماً ..

التفتي حاجبها ، وهي تقول :

- ربما يا (حسام) .. ربما .. صحيح أننا أضدنا كل شيء في

سهراتنا ، ولكن لا تنس أننا لا تواجه خصفاً عادياً ، بل تواجه

اللعبة نفسها .. تلعب المخبرات .

\*\*\*

شعر (جيمس فوستر) بالدهشة ، وهو يندلف إلى ناديه في

الصباح .. عندما رأى رجال الشرطة يملأون المكان ، وبعضهم

يفحص حجرة المدير ، والخزانة المفتوحة الخالية ، فأتجه إلى

المدير يسأله :

- ماذا حدث يا مستر (كارل) ؟

لوح المدير بكفيه قائلاً :

- لأشء يدعو للقلق يا مستر (فوستر) .. إنها حادثة سرقة

عادية ، ولكن اللص كان سجين الحفظ ، فلم يكن بالخزانة سوى

ألف دولار فحسب .

رتد (فوستر) في بطنه عجيب :

- ألف دولار !؟ .. وكيف ارتكب جريمته ؟

أجاب المدير :

- لقد تمسك عبر الملاعب ، إلى العنبر الإداري ، وفتح

الخزانة في مهارة ، و...

قاطعه (فوستر) في اهتمام :

- وأين كان الحارس ؟

أجاب المدير في أسف :

- لقد فاجأه الحارس في حجرة الأدوات ، ولكن اللص

هاجمه ، وألقاه الوعي ، و...

قاطعه (فوستر) مرة أخرى :

- في حجرة الأدوات !؟ .. وما الذي كان يفعل اللص ، في

حجرة الأدوات ؟

هز المدير كتفيه ، قائلاً :

- ربما كان يبحث عن الخزانة ، أو ..

والمرءة الثالثة ، قاطعه (فوستر) :

- يبحث عنها !؟ .. هل تحاول إقناعي بأن لصاً سحر فاق اقتحم

المكان ، لسرقة الخزانة ، دون أن يعلم موضعها مسبقاً ؟

أجابه المدير في توتر :  
 - لست أحاول إقناعك بشيء يا ماستر (فومستر) .. إنني أرجع هذا لمصيب .  
 مط (فومستر) شلتيه ، وقال في برود :  
 - بالتأكيد .  
 ثم اتجه في خطوات واسعة إلى الهاتف ، وانتقط ساعته ، وهو يستطرد لنفسه في خلوت :  
 - ولكن عظمي يشعر بالقلق .  
 ضيق أزرار الهاتف في سرعة ، وانتظر حتى سمع صوت محدثه ، فقال :  
 - إله أنا يا (داني) .. ريميك (فومستر) .. اسمعني جيداً .. أريدك هذا على الفور ، في نادي (الجولف) .. هيا .. بأسرع ما يمكنك .  
 أنهى المحادثة ، دون أن ينتظر جواباً ، ثم اتجه إلى حجرة الأنوار ، وقال للعامل الكهل ، المسئول عنها :  
 - أين حقيبتي يا (جون) ؟  
 ثاوله العامل الكهل الحقيبة ، وهو يقول :  
 - ها هي ذي يا ماستر (فومستر) .. إنني أعني بها جيداً .  
 التقط (فومستر) الحقيبة ، ولحسها في اهتمام ، ثم أفرغ الحصى كلها منها ، وأخذ يتطلع إليها في حذر ، جعل العامل يسأله قلقاً :  
 - ماذا هناك يا ماستر (فومستر) ؟ .. هل تجد عيباً في أدواتك ؟  
 هر (فومستر) رأسه نلياً ، وقال :

- لا يا (جون) .. لست أجد بها عيباً .  
 وضمت لحظة ، ثم أضاف في حزم :  
 - أقصد عيباً واضحاً .  
 ثم رفع رأسه إلى (جون) ، وقال :  
 - اسمع يا (جون) .. يبدو أنني لن أستخدم هذه الأدوات اليوم .. أجمعها كلها ، وضعها في حقيبة ماستر (كول) ، واحضر لي كل أدوات ماستر (كول) كما أريد كرات جديدة .  
 سأله العامل في دهشة :  
 - ولماذا كل هذا يا ماستر (فومستر) ؟  
 أجابه في برود :  
 - اعتبره نوعاً من التعمس بالخرافات يا (جون) ولكن نلقد ما أمرتك به .  
 أطاعه العامل الكهل في حيرة ، فأحضر حقيبة (كول) ونقل محتوياتها إلى حقيبة (فومستر) ، ثم صنع العكس بأدوات هذا الأخير ، وقال :  
 - أتأمر بشيء آخر يا ماستر (فومستر) ؟  
 أجابه (فومستر) ، وهو يلتقط حقيبته ، التي تحوي أدوات (كول) :  
 - نعم يا (جون) .. أريد منك أن تعطي حقيبة (كول) ، وبها أدواتي ، إلى ماستر (داني) ، عندما يحضر بعد قليل ، وتطلب منه فحصها جيداً .. هل تفهم ؟  
 أوما الرجل برأسه أجاباً ، وقال :  
 - نعم يا ماستر (فومستر) .. أفهم .. اللهم تملأنا .

أخرج ( فوستر ) من جيبه ورقة وقلما ، وتوَّن بعض التلعات  
في الورقة ، ثم طواها وتاولها - ( جون ) ، قائلا :  
- أعطه هذا الأمر الكتابي لتنفيذ هذا .  
وضحك مستطرداً .

- أنك تدرك تعقيدات البيروقراطية .. ليس كذلك ؟

ابتسم ( جون ) ابتسامة مريكة ، وهو يقول :

- بلى يا مستر ( فوستر ) .. بلى .

حمل ( فوستر ) حقيبة أدواته في هدوء ، واتجه إلى ملعب  
الجولف . وراح يضرب الكرات الجديدة في دقة وهدوء مثيرين ،  
حتى ظهر ( داني ) بجسده الضخم ومُنْتَظَر الدائن ، واتجه إليه  
غير الملعب . وقال :

- صباح الخير أيها الرئيس .

قال ( فوستر ) ، وهو يضرب كراته في هدوء :

- صباح الخير يا ( داني ) .. هل تسلمت الأشياء من ( جون ) ؟

أوماً ( داني ) برأسه إيجابياً . وقال :

- نعم .. تسلمتها كلها ، وسيتم فحصها جيداً .

سار ( فوستر ) حتى موضع الكرة الجديدة . وهو يقول

لـ ( داني ) ، الذي تبعه في صمت وهدوء :

- عظيم .. والآن أريد منك أن تذهب على الفور إلى المنزل الآمن

رقم ( ثمانية ) . ونقوم بنقل ( هارولد ) إلى المعتقل رقم ( تسعة )

قال ( داني ) معترضاً :

- ولكننا نقلناه إلى رقم ( ثمانية ) أمس لحسب

قال ( فوستر ) في صرامة :



اطاعة العامل الكهل في خيرة . فأحضر حقنة ( كوك ) ونقل نحوها

إلى حقنة ( فوستر ) .



لغز الأوامر .

مط (داني) شففيه . وقال :

كما تأمر أيها الرئيس .

واستدار مظهرها ، دون أن يضيف حرفاً واحداً ..

وفي نفس اللحظة ، وفي سيارة أنيقة ، تلف شارح نادي (الجولف) ، هاتف (حسام) ، الذي نقل إليه جهاز التصنت ، المثبت في حقيبة (فوستر) ، كل حرف تبادلته هذا الأخير مع (داني) :

تحدث غفلتنا أوتها الرائد .. سيذهب (داني) الآن إلى حيث

يحتفظون بـ (هارولد) .

سأنته (مني) في انفعال :

أنتظنا نستطيع تنبؤه ، دون أن ينبه إلى وجودنا ؟

أجابها في حزم ، وهو يلمح بحقيبة الصغيرة :

بالتأكيد .

قالت محذرة :

لا تنس أنه محترف ، وسيكشف أمرنا في سهولة .

قال مبتسماً :

أعلم هذا .

والنقط من حقيبة جهاز مراقبة صغير ، في حجم زر قميص

عادي ، وهو يقول :

سنترك لصديقنا الصغير هذا المهمة كلها .

قالتا وغامر السيارة في غلطة ، واتجه إلى حيث سيارة (داني)

وهناك أسقط مندبله ، في حركة بدت طبيعية للغاية ، وانحنى

لينثقله . واستند مع تلك الانحناءة على حقيبة سيارة (داني) .  
على نحو بدأ أكثر طبيعية ..

وفي مهارة ، التصق (حسام) بجهاز المراقبة الدقيق ، في جزء

خلف من الحقيبة ، ثم اعتدل ، وواصل طريقه في هدوء ..

وفي أعناقها ، اعترفت (مني) بمهارته ..

كان مخلصاً في عمله بالفعل ، وتكياً وجريئاً في أدائه ..

وهذا هو المطلوب ..

وعندما عاد إلى السيارة ، قالت في إخلاص :

أحسن .

ابتسم قائلاً :

أشكرك .

وانتظر في صمت ، حتى ظهر (داني) ، وهو يحمل حقيبة

(كول) ، وأدوات (فوستر) ، واتجه إلى سيارته ، فالتقى الحقيبة

دخلها ، ثم جلس خلف عجلة السيارة ، وانطلق بها على الفور ..

وفي هدوء شديد ، أخرج (حسام) من حقيبته جهازاً صغيراً ،

ظهرت فوقه نقطة مضيلة حمراء ، وقال :

ها هو ذا صديقنا (داني) .. بهذا الجهاز الصغير يمكننا

تتبعه ، حتى نبلغ موضع صديقنا (هارولد) .

وأدار محرك سيارته بدوره ، وانطلق بها في هدوء ، وهو

يتتبع مسار تلك النقطة الحمراء المضية ، على شاشة جهازه ،

وأتى تحذد موقع ومسار سيارة (داني) ..

وانطلق (داني) خارج المدينة ..

خارج (نيويورك) كلها .

ثم انصرف عند منطقة ريليه شاسعة ، على مشارف المدينة ،  
وعبرها إلى دغل قريب ، حتى توقف داخل الدغل عند كوخ خشبي  
صغير ، وغادر سيارته ، وضغط تليفونها ثلاث مرات متباعدة ،  
فخرج من الكوخ رجل تضخم آخر ، يحمل مدقعا آليا ، لوح بكفه  
إلى (داني) ، قائلا :

- مرحبا يا صديقي .. هل من أوامر جديدة ؟

أجاب (داني) بصوت مرتفع :

- نعم .. سننقل الجاسوس إلى منزل آخر ..

وعلى بعد عدة أمتار ، وسط الدغل الكثيف ، خضع (جسمام)  
مظنار « المكرب » عن عياله ، وقال في ظفر :

- ها هوذا الهدف ..

ولكن (ماني) لم تشاركه هذا الإحساس بالظفر ، بل كانت تشعر  
بالقلق ..

القلق بلا حدود ..

\*\*\*



٥٠

## ٦ - هارولد ..

اجتاز (فوستر) باب مكتبه في خطوات سريعة عتيقة كعادته ،  
وسأل أحد رجاله في اهتمام بالغ ، وهو يجلس خلف المكتب :

- هل اتصل (داني) ؟

أجاب الرجل ، وهو يمسك سماعة الهاتف :

- إنه على الهاتف ، ويقول : إنه بلغ المنزل رقم (ثمانية) ،  
ويصل : هل بعض في الخطوة حتى النهاية ؟

قال (فوستر) في اهتمام :

- سلة : هل تتبعه أحد ؟

ألقي الرجل السؤال إلى (داني) ، عبر أسلاك الهاتف ،  
واستمع إليه في اهتمام ، ثم قال لـ (فوستر) :

- يقول : إنه لم يلمح أحدا خلفه ..

عقد (فوستر) حاجبيه ، وهو يفكر في علق وصمت ، ثم قال  
في حزم :

- قل له : أن يستمر في الخطوة ..

قال الرجل عبر الهاتف :

- استمر يا (داني) ..

ثم أنهى المحادثة ، والتفت إلى (فوستر) ، بسأله :

- هل نتوقع شيئا من هذا يا سيدي ؟

أجاب (فوستر) في القضاة :

- الكثير .

كان من الممكن أن يقتل بهذا الرد المقتضب كعائته ، إلا أنه وجد في نفسه الرغبة في الحديث ، فتابع بعد وهلة من الصمت :  
- خصوصاً يتصورون أنهم لا تكن هذه المرة ، ومن الضروري أن نلقئهم درسا قاسياً ، يعلمهم أن المقاهرات المركزية الأمريكية هي الأقوى دائماً .

وتراجع في مقدمه في زهو واضح ، مستطرداً :

- ولا بأس من بعض المرح .

رؤد رجله ، وهو يتطلع إليه في دهشة :

- المرح ١٢

برقت عيناه (فوستر) ، بهرق يناسب لقيه كثيراً ، وهو يقول :  
- نعم يا عزيزي .. المرح في عملنا أمر ضروري ، يجتد نشاطنا ، ويمتدنا المزيد من الثقة والفخر .  
ثم تلهض من خلف مكتبه فجأة ، مستطرداً :

- ها يا رجل .. اطلب إحصاء الهلوكوير المصطفة ، الخاصة

بـ ..

وعادت عيناه تتألقان في جذل ضجيب ، وهو يستطرد :

- لا ينبغي أن يفوتنا الحال .

وبعدما قيل شيئاً لم يفعل مثله منذ فترة طويلة :

تد قلبه ضاحكاً ..

ويستتهي المرح .

\*\*\*

جنب (حسام) مشط مستدسه في حزم ، وهو يراقب الكوخ

الخشبي ، لسانته (منى) ، وهي تعد مستسها يدورها :

- هل تنوى مهاجمتهم مباشرة ؟

مائلها في لهجة أقرب إلى السخرية :

- أديك الاقتراح آخر ؟

مطت شفتيها ، قللة :

- لا .. ليس لدى أية اقتراحات أخرى .

بدا أمامهما أربعة من المسلحين ، يقفرون الكوخ مع

(داني) ، وبينهم رجل مقيد ، يخطئ وجهه تحت لثام مسك ،

وهو يدفعونه أمامهم في غلظة ، نحو سيارة (داني) ، فسويت

(منى) مستدسها إليهم ، وهي تتشم :

- ها هوذا (هاروك) .. يمكننا البدء ، على بركة الله (سبحانه

وتعالى) ، و...

قاطعها (حسام) بقية :

- مهلاً .

التفتت إليه ، تسأله في دهشة ،

- أكن تبدأ الهجوم ؟

هل رأسه نفياً ، وهو يعود مستدسه إلى غمد ، قائلاً :

- لا .. ليس الآن .

خفت في خفوت :

- أنتركهم يرحلون به ، أمام بصرنا ومعنا ؟

ابتسم قائلاً :

- لن يذهبوا بعيداً .. إنهم سيستقلون سيارة (داني)

العزيز .. ألم تنتهي إلى هذا ؟ دعينا تسمح لهم بمفارقة المكان

يا عزيزي ، فهم الآن في قمة نظلهم وانتباههم ، وستتبعهم



طرق منبته وإيهامه ، مطباً المعنى المشهود ، وغز بعينه  
ـ ( منى ) ، قائلاً فى مرج :

ـ أيناسيك هذا ؟

ابستمت مضمة :

ـ بالتأكيد .

ران عليهما الصمت لحظات ، وسط أعشاب عالية .. وأشجار  
ضخمة . ولم يعد كلاهما يسمع سوى حفيف الأوراق ، وزحزحة  
العصافير ، و ( حسام ) يواصل مراقبته للكوخ فى اهتمام بالغ ،  
ودون أن يتبادل مع ( منى ) كلمة واحدة ، لئلا يفسد ساعة كاملة ،  
فيل أن يرفع نظره عن عينيه ويسألها بالمتابعة كبيرة :

ـ أنتشعيرين بالجوع ؟

هزت رأسها ، قائلة فى خلوت :

ـ ليس كثيراً .

قال فى لهجة تحمل شيئاً من الحنان :

ـ إنك لم تتناولى شيئاً منذ الصباح .

ثم اعتدل قائلاً فى مرج :

ـ حسناً .. سنتبادل الأول .. أنت تقومين بالمراقبة ، وأنا

أحضر الطعام من السيارة .. ما رأيك ؟

التفتت المنظار المقرب ، وهى تقول مبتسمة :

ـ لا بأس .

لهض فى نشاط ، ليحضر الطعام من السيارة ، ولكنها

استوقفت قائلة فى تردد :

ـ ( حسام ) .. اتنى ..

التفت يسألها مبتسماً :

حتى وصلوا إلى المنزل الجديد ، وبعد أن يستقر بهم الحال هناك ،  
وتهدأ لغوهم ، تنضرب ضربتنا ، ونستغل عامل المفاجأة ،  
الذى لن يمكننا استغلاله أبداً . وهم يتطارون هكذا .

بدت لها فكرته ذكية بالفعل ، واعترفت فى أصاقلها أنه ذكى  
وبارع ، فأعادت مسلسها إلى غمده ، وقالت :

ـ أنت على حق .

رماها بنظرة جانبية صامتة . وانتظر حتى النطق الرجال مع  
أسيرهم بالسيارة ، ثم قال فى حزم :

ـ هيا بنا .

انطلقا إلى سيارتهما ، واستقلها ، وراحا يتابعان تلك النقطة  
المضيئة مرة أخرى ، عبر طرق جانبية وحرة ، حتى بلغا كوخاً  
خشبياً آخر ، فتوقفا برأيهما فى اهتمام ، من خلف شجرة  
ضخمة ، وقالت ( منى ) :

ـ ها هى ذى سيارة ( داني ) أمام الكوخ .

قال ( حسام ) لحظات يراقب الكوخ بمنظاره ، قبل أن يقول :

ـ ولها مؤنث ( غارود ) فى الدخل .

سألته :

ـ هل نهاجم الآن ؟

هز رأسه لغيماً ، وأجاب :

ـ امتصبهم بعض الوقت يا عزيزتى .

ثم تطلع إلى ساعته ، مستطرداً :

ـ مستقر الشمس بعد ثلاث ساعات .. ستمتعهم كل هذا  
الوقت ، ومع اختفاء قرص الشمس فى الأفق ..

- إنك ماذا ؟

تعلمت إليه لحظة ، ثم خفضت عينها ، قائلة :

- إنني أمين لك بالاعتذار .

ثم ينهض بيثت شدة ، وإن ظهرت على وجهه ملامح الدهشة لحظة ، قبل أن تتابع في في لثم وأنف واضحين :

- لقد أسأت معاملتك في البداية ، دون قصد مني ، ولكنني لم أكن أحتفل ..

فأطعها في حنان :

- فيما بعد .

رفعت عينيها إليه ، فاستقبلتها ابتسامته الهانئة ، وهو يتابع :

- سنزول الحديث حول هذا لما بعد .

ولفح بكفه ، مستطرداً :

- سأحضر الطعام .

وأقبلته وهو يبتعد في خفة ونشاط ، وخفضت نفسها :

- لقد أخطأت في حقك بالفعل .

ثم أمسكت المنظار ، واستدارت إلى الكوخ ، وانهمكت في مراقبته ..

أما (حسام) فقد تابع سيره إلى حيث تركه السيارة ، وقال لنفسه في ارتياح ، وهو يفتح حقيبتها :

- يبدو أن الأمور مستصلحة كثيراً مع عزيزتنا (منى) .

لنحني ليلتقط حقيبة الطعام ، و..

وفجأة أصابته ضربة قوية في ظهره . كانت تسقطه دالماً

حقيبة السيارة ، لولا أن تشبثت بحافتها في قوة ، ثم دفع قدمه إلى الخلف في عطف ..

كان رد فعله مناسباً وسريفاً ، فقد أصابت قدمه عدة خصمه من الكلف ، وتناهى إلى مسامحه صوت آلة ألم مكتومة ، فتثنى جسده في مرونة ، ولفز جاتياً ، ودار حول نفسه في سرعة ، وواجه خصمه وجهاً لوجه .

كان خصمه يهوفه حينما بسرعة وأنصف المرة على الأقل ، وبحمل مدفعا ألثا ضحكاً ، وكل لحظة من خلجاته تحمل الصرامة والحزم والقوة .

ولكن (حسام) لم ينتظر لحظة واحدة ..

ولا حتى جزءاً من الثانية ..

لقد انقض على خصمه على الفور ، ولفز ليكمل معدته ركلة أخرى ، أعطف من مبارقتها ، ثم يركل المدفع الأثني من يده في قوة ..

ويطار المدفع من يد الرجل ، واستقر وسط الأعشاب الكثيفة ، فهتف الرجل في غضب :

- أيها الحثيد .

لم يعترض (حسام) على العبارة بلطف واحد ، وإنما جاء اعتراضه على هيئة لكمة عتيقة وجهها إلى ألب الرجل ، الذي تراجع خطوة إلى الوراء ، ثم انقض على (حسام) ، وأمسك وسطه بكفيه ، ورفعته إلى أعلى ، كما لو كان طفلاً صغيراً ، وهو يهتف :

- سأحطيك أيها الرجل للصغير .



ولم يزل يركل معدنه ركلة أخرى ، أصعب من سابقتها ، ثم يركل المدفع

الذي في يده .

ويكبل نحوه ، هوى (حسام) على جانبيه عنق الرجل يحافضه  
 بديه ، ثم رفع ركبته في نفس اللحظة ، ليضرب بها فكه ..  
 وصرخ الرجل في ألم ، ولكنه لم يفلت (حسام) ، وإنما دفعه  
 أمامه ، وهو يندفع إلى حيث جذع شجرة ضخمة ، وضرب ظهره  
 (حسام) بها في عنف ، صارخاً :  
 - سأحطمك .. سأحطمك ..

شعر (حسام) بالآلم رهيباً في عاموده الفقير ، والرجل  
 بضربه بالجذع الضخم مرة .. ومرة .. ومرة .. وأدرك أن جسده  
 لن يتحمل هذه الضربات لفترة طويلة ، فالتزع مسدسه من  
 غمده ، وقال في ألم :  
 - أنت أردت هذا أيها اللعنة .

شعر الرجل بلهفة الممنس تلتصق بصدغه ، فأبعد رأسه في  
 سرعة ، وألقى (حسام) أرضاً ، ثم انتزع مسدسه بدوره ،  
 هانفاً :

- نعم .. أنا أردت هذا .

رفع قوة مسدسه نحو (حسام) بسرعة مذهلة ، ولكن  
 (حسام) كان الأسبق في ضغط زناد مسدسه ، المزود بكام  
 للصوت ..

وجعلت عين الضخم لحظة ، وبدأ كأنما أصيقت إليه عين  
 ثلاثة ، في منتصف جبهته تماماً ، ثم لم تلبث تلك العين الثلاثة أن  
 تفتحت بالدماء ، وسقط الضخم جثة هامدة ، عند قدمي  
 (حسام) ، الذي قلز وألقا ، وقال في توتر :  
 - إذن فقد كشفتم أمرنا ..



وانطلق بكل سرعته نحو المخبأ ، الذي تختبئ فيه (منى) .  
ولم يقد يبلغه حتى هتف بها :  
- هيا .. سنهاجم الآن .  
سألته في دهشة قلقة :  
- لماذا ؟ .. ماذا حدث ؟  
أجاب في حزم :  
- لقد كشفوا وجودنا .. أعدهم هاجموني عند السيارة . ولولم  
لهاجم الآن ، لقد نضر كل شيء .. إننا نعرف موضع (هارولد)  
الآن . ولن نضيع هذه الفرصة أبدا .  
سألته في جزع :  
- أين تضع خطة للهجوم ؟  
قال في صرامة :  
- إنهم يظنون بوجودنا ، ويتظنوننا ، ولم تعد هناك فائدة  
من الاختباء والمراوغة .. سأحضر كل الأسلحة من السيارة ،  
ولهاجمهم على الفور .  
قالت في حسم :  
- سنحضرها معا .  
عادا إلى السيارة ، وأحضر كل منهما مدفعا أثريا ، وقنبلتين  
دخان ، ومسدسا . كمية لا بأس بها من الفخيرة ، ثم قال  
(حسام) في حزم :  
- سنهاجم من منحورين .. قنابل الدخان أولا ، ثم هجوم  
بالمدافع الآلية .  
سألته في قلق :

- وماذا عن (هارولد) ؟ .. ألا يحتسب أن يقتلوه ، إذا  
ما يبرزواهم بالهجوم ؟  
هتف :

- مطلقا .. إنهم سيتصورون أننا نحن نسعى إلى قتله .  
وانتخلص منه . ومن كل ما يحتمل من أسرار ، وسيدافعون عنه  
بأقصى ما يمكنهم .. انظمتي .  
راقب الكوخ لحظة . ثم قال :  
- الآن .

افتراقا في الجانبين . واتجه هو إلى يسار الكوخ ، في حين  
اتجهت هي إلى يمينه ، ومن بعيد أشار إليها إشارة خاصة ..  
وبدا الهجوم ..  
بدأ بقنبلة دخان ، ألقتها (حسام) نحو نافذة الكوخ اليسرى .  
هاتفا :  
- الآن .

أثقت (منى) قنبلتها بدورها ، نحو النافذة اليمنى ، ثم ضغطت  
زناد مدفعها الرشاش ، وغمرت الجانب الأيمن للكوخ  
برصاصاتها ، في سخام منقطع النظير ..  
وفي أول مواجهة حية ، بعد عمله بالمغامرات العامة ، أثبت  
(حسام) جرأة حقيقية ، منقطعة النظير ..

لقد أطلق رصاصاته على الجانب الأيمن للكوخ بدوره . ثم  
اندفع نحوه في جسارة ، مستغلا عامل المفاجأة ، وأطلق النار  
على رناجه ، ثم دفع يده بكتفه ، وفلن داخله ، وتخرج على  
أرضه في مرونة ، ثم اعتدل مضويا مدفعه إلى من داخله ..

وهذا كانت للمطابقة .

لم يكن هناك مخلوق واحد داخل الكوخ ..  
لفظ عدة نعى . في حجم البشر ، تشبه إحداها ( هارولد ) ،  
وتشبه الأخرى ( داني ) ، ثم بعض النمل الأخرى ..  
وهتف ( حسام ) في غضب :  
- اللعنة ..

كانت سحب الدخان تملأ الكوخ ، فاندفع مرة أخرى خارجه ،  
وهتف :

- كفى يا ( منى ) .. كفى ..  
نطقها بالإنجليزية ، فأوقفت ( منى ) سيل رصاصاتها . وهي  
تسأله بالإنجليزية معاتلة :  
- ماذا حدث ؟

هتف :

- إنه قبح .

وهنا انبعث صوت ( فوستر ) عالياً ، من عدة مكبرات صوتية  
تحيط بالمكان . وهو يقول في سخرية :  
- صدقت أيها الانتحاري .. إنه قبح .  
شعرت ( منى ) بتوتر بالغ . وتلقت حولها في اضطراب ، في  
حين هتف ( حسام ) بالإنجليزية :

- اذهب إلى الجحيم .

أتاه صوت ( فوستر ) ، يقول :

- أريد أن أدري من هنا سيذهب إلى الجحيم أيها الانتحاري .  
ثم ارتفع صوته ، وهو يقول في صرامة :

- امسحوه عينة مما نملك ، يا رجال .

وهنا انهمر سيل الرصاصات الحقيقي .

بل شلال منها ..

شلال من رصاصات فائتة ، انهمر على رأس بطليبا ..

.. ( حسام ) و ( منى ) .

\*\*\*



## ٧- من أنت؟ ..

على الرغم من شلال الرصاصات الذي انهمر على (حسنم) و (منى) إلا أن رسالة واحدة منه لم تصب أحدهما ، وإنما أحاطت الرصاصات بهما إحاطة السور بالمعصم ، قبل أن يرتفع صوت (فوستر) ، قللاً :

- إنها مجرد عينة ، كما لأخبرتكما .

شعرت (منى) بشوق شديد ، وهي تقول لـ (حسنم) في خلوت :

- إنهم يخططون بنا تماماً .

تتم (حسنم) في سخط :

- بالأنواع ؟

ثم قال لـ (منى) في حزم :

- تذكرى أنه ، منذ هذه اللحظة ، لم نتحدث أو نتطرق حرفاً واحداً ، إلا بالإنجليزية أو العربية .. هل تفهمين ؟

- أجابته بالإنجليزية :

- نعم .

ارتفع صوت (فوستر) مرة أخرى ، يقول في صرامة :

- هيا .. إتنى انتظر استسلخنا غير مشروط .

سألت (منى) (حسنم) :

- هل نستسلم ؟

قال في حق :

- ليس أمامنا سوى هذا .

ثم أضافت غاضباً :

- في الوقت الحالي .

وألقى مدفعه ، قائلاً في حدة :

- إننا نستسلم أيها الوغد .

شعرت بضيق شديد ، وهي تتلقى مدفعها ، وترفع يديها مستسلمة ، ثم لم يلبث هذا الضيق أن تحول إلى مزيج من الدعشة والخوف ، عندما برز من بين الأشجار ، عشرات من رجال المخابرات الأمريكية ، يحملون مدافعهم الآلية ، ويوسطهم (دالى) ، الذي يبتسم ظافراً ، ويتجه إليهما ، قائلاً :

- لقد وقعنا .

أجابته (حسنم) بالإنجليزية في سخرية :

- من نواعى فقرنا (على الأقل) أن تجلدوا كل هذا الجيش للإفراج بنا .

قال (دالى) في غلظة :

- لم تكن تعرف عندكم ..

قال (حسنم) في سخرية :

- حقاً ؟

أمسكه (دالى) من يافته فجأة في غلظة ، وهو يقول في حدة :

- اسمع أيها الرجل .. أنت تواجه أقوى جهاز مخابرات في

العالم أجمع ، ونحن نستطيع سماع تبيب التلمة ، ورصد أسفر

خشرة تحاول الاقترب منا .



- ولكنني نظّاهرت بالفهام ، ويأبني أفان أن جهاز التصنت  
مزروع في إحدى أدواتي ، وليس في الحقيبة نفسها ، وتظاهرت  
بأنني أطلب من (داني) فحص الأدوات ، في نفس الوقت الذي  
تركت له فيه ورقة ، أشرح فيها الأمر كله ، وأطلب منه التظاهر  
بالفهام ، والذهاب إلى منزل خداعي ، أعدناه كطع لمن يحاول  
تفتيشنا متلكما ..

وأصمتت إهسامته ، وهو يستطرد :

- ولقد نجحنا في خداعهما .

قال (حسام) ساخرًا :

- هل أصلي ؟

رفقه (فومستر) بنظرة حادة ، وقال :

- ما جنسيتك يا فتى ؟

هو (حسام) كتحية ، قلًا :

- سامحك فرصة التفتيش .

ضالقت حركاتنا (فومستر) - وهو يتفرس في سلامحه لحظة ،  
فهل أن يقول :

- أنت عربي ؟

أجاب (حسام) في برود :

- ربما .

تراجع (فومستر) خطوة ، وأشار إلى أحد رجاله ، قائلاً في  
صرامة :

- فتشهما .

انعد حاجبا (حسام) - وهو يقول :

قال (حسام) بنفس السخرية :  
- ربما يحاولكم على هذا شعورك بالانتماء إلى عالم  
الحشرات .

بدأ (منى) تشديد الشبه بـ (أدم صيري) ، وهو يتعامل مع  
خصوصية بكل السخرية والاستهتار ، وبدأ لها (داني) أشبه بكتلة  
ملتصقة من الغضب ، وهو يصرخ به :

- سأعذك من منا ينتمى إلى عالم الحشرات أيها الحقيير .

وهنا ظهر (فومستر) نفسه ، وهو يقول :

- ليس الآن يا (داني) .. لا تجعل ضيقنا يظن أننا نفكر إلى

الكرم .

واتجه إلى حيث (منى) و (حسام) في بقمه ويهيم ، ثم رمى  
كلًا منهما بنظراته الحادة المتفحصة ، قبل أن يقول :

- أصراف أنكما لعبتما اللعبة في إتقان شديد ، وبمهارة  
تستحق الإعجاب ، وكان يمكنكما الانتصار ، لولا أنكما تواجها (جيمس فومستر) نفسه .

بدأ لهما تشديد الغرور ، وهو يتابع :

- لقد كانت لعبة زرع أجهزة التصنت في مكتبتين رائعة ،  
ولكنني أدركت أن زيارتك يا فتاتي ليست طبيعية ، لذا لقد أمرت  
رجالي كتابة ، بفحص كل شبر بالحجرة ، حتى كشفنا وجود  
جهاز التصنت ، وبعدها أدركت أن تلك الشركة المزعومة ،  
لخزاة ناي (الجولف) ، كانت مجرد وسيلة لنقطة محاولة زرع  
جهاز تصنت آخر ، في حقيبة أدوات (الجولف) الخاصة بي .  
وأرسمت على شفتيه ابتسامة زهو واضحة ، وهو يضيف :

- او حاول احذكم لمن زميلتي ، فسيكون هذا آخر مايقعله في حياته كلها .

ابتسم (فوستر) ، قائلاً :

- هذا يرجح كونك عربياً .

عشيت (منى) أن يتكشف أمرهما ، فقالت :

- لا بأس يا (دافيد) .. يمكنهم تفتيشي .

صاح بها (خسام) في غلظة متصدة :

- لا تتطلى أية أسماء .

التفتي حاجها (فوستر) في شدة ، وهو يردد :

- (دافيد) .. أنتما ...

بتر عبارته مرة واحدة ، والتفت نظراته بنظرات (داني) في

قلبي ، قبل أن يقول :

- لا بأس .. لن نهتم بتفتيشكما هذه المرة ، ولكنني أطلبكما

بأفراغ محتويات جيوبكما كلها أمامنا .

أطاعا هذه المرة ، وأفرغا محتويات جيوبهما عن آخرها ،

وراح (داني) يفحص المحتويات في اهتمام بالغ ، ثم قال :

- لا يوجد أي شيء يشير إلى شخصيتهما يا سيدي ..

لا أوراق ، أو جوازات سفر ، أو رخص قيادة .. لأشء قط ..

ألقى (فوستر) نظرة مريعة على كل الأشياء ، ثم قال :

- وماذا عن هذا ؟

والتقط من بين الأشياء ورقة نقدية ، رفعها أمام وجه

(خسام) ، قائلاً :

- لقد تسميتما هذه يا عزيزي (دافيد) .

كانت ورقة من فئة العشرة ليرات الإسرائيلية . تطلع إليها (خسام) في دهشة مصطنعة . قبل أن يلتفت إلى (منى) ، هاتفاً في غضب مكتعل :

- أيتها اللعينة !.. ألم أطلب منك التخلص من كل مايمكن أن

يشير إلينا ؟

تظاهرت (منى) بالارتباك ، وهي تقول :

- لم أنتبه إلى هذه الورقة يا (دافيد) .. صدقني ..

صاح :

- سأقتلك يا (هانا) .. سأقتلك من أجل هذا .

تبادل (داني) نظرة أكثر قلقاً مع رئيسه ، الذي غصم في

خفوت :

- يا للشيطان !.. إنهما اسرايليان !

قال (داني) في قلبي :

- سيدي .. هذا سيثير أزمة في الـ ...

أقطع (فوستر) مشيراً بيده :

- اصمت .

ثم التفت إلى (خسام) و (منى) ، وقال :

- سنوجل أمر جنسيتكما هذا إلى ما بعد ، أما الآن فسيفودكما

بعض رجالتي إلى سيارتكما ، وسنقوم بتفتيشهما جيداً ، ثم

سيحبسكما رجالنا بها إلى إدارتنا ، حيث يتم استجوابكما جيداً .

وأشار إلى أحد رجاله ، قائلاً :

- خذهما إلى هناك .

اصطحب الرجل ، مع ثلاثة آخرين ، (خسام) و (منى) إلى

حيث تغلب سيارتهما ، في حين قال (داني) في توتر :

- اتصق لثهما إسرائيليان حقًا يا سيدي؟

أجابهُ (فوستر) في توتر:

- لا يمكنني استبعاد هذا ، فعلى الرغم من التعاون اللقائم ، بيننا وبين (العوساد) ، منذ زمن طويل ، إلا أن هؤلاء الإسرائيليين لا يتورعون عن القيام بأية أعمال تحايلية ، مادام هذا في صالحهم ، بغض النظر عن الأخلاقيات والقواعد والمثل .  
قال (داني) في ارتياح:

- إلى حد زرع جاسوس بين صفوفنا ؟

نوح (فوستر) بكفه ، قائلاً :

- إلى أي حد يا (داني) .. إلى أي حد .

ثم زوى ما بين حاجبيه ، مستطردًا في توتر:

- ولكن من المؤكد أن هذا سيزيد الأمر تعقيدًا يا (داني) ..

سيزيده تعقيدًا إلى درجة رهيبة بحق ..

في نفس الوقت ، الذي دارت فيه هذه المحادثة ، بين (فوستر) و (داني) ، كان الرجال الأربعة يقودون (حسام) و (منى) إلى سيارتهما ، وغمغمت (منى) بالإنجليزية :

- لقد فشلت المهمة .

أجابها (حسام) في حزم :

- ليس بعد .

لم تنافسه في هذا ، ولكنها شعرت في أعصافها أنه متفائل أكثر مما ينبغي ، فلذات بالصمت ، وحاولت أن تتخيل ما سيفعله (أدهم) ، لو أنه في نفس الموضع ، ثم لم تثبت أن تلفت الصورة من عقلها ، واهتفت في داخلها :

- استوفظي يا (منى) .. لا داعي للعيش في عالم الخيال إلى الأبد .. لقد اعتزل (أدهم) العمل ، و (حسام) هو رفيقك الآن .. هيا .. تقبلي الأمر في شجاعة وواقعية .

كانا قد بلغا السيارة ، في حراسة الرجال الأربعة ، فتوقف (حسام) عن السير ، وقال في صرامة :

- لن أخطو خطوة واحدة زائدة .

دفعه أحد الرجال في غلظة ، قائلاً :

- تقدم بأرجلك ، وإلا حطمت رأسك .

شعرت (منى) بالدهشة لموقف (حسام) ، وهو يقول في عناد :

- الفعل ما يحلو لك ، ولكنني لن أتحرك من موقعي هذا .

لكلّ الرجل يكعب مدفعه في عتف ، هائلاً

- قلت تقدم ..

لم تكن الضربة قوية إلى حد كبير ، ولكن رد فعل (حسام) جعلها تبدو أشبه بقنبلة مدفع ، إذ سقط أرضاً ، وتخرج لمتريين كاملين ، وأخذ الرجال الأربعة يقول في سخرية :

- هيا بأرجلك .. لا داعي لكل هذه التعليلية السقيمة .. إننا نعلم أنك أقوى من أن تجتذك ضربة كهذه .

ولكن فجأة اعتك (حسام) ، وهو يحمل بين يديه مدفعاً آلياً ، جعل الرجال الأربعة و (منى) يحدقون فيه بدهشة ، وهو يهتف في سخرية :

- بالملكاه !

فكأن أن يلقي الرجال من دهشتهم ، كانت سياسته تضغط





قبل أن يقبل الرجال من قهقهتهم ، كانت سايب تصيح الزناد ،  
ورصاصات المدفع الآلي تحصد الرجال الأربعة حصداً ..

الزناد ، ورصاصات المدفع الآلي تحصد الرجال الأربعة حصداً ..

وهتفت (منى) : « وهي تندفع إليه :

— من أين حصلت عليه ؟

أجابها وهو يدعو إلى جانبها ، نحو السيارة :

— لقد أعطته به ، من يد الرجل ، الذي هاجمنا عند السيارة ،

وتذكرت مكانه جيداً ، حتى أعود إليه عند الحاجة .

هتفت في إعجاب حقيقي :

— أئت رابع يا (حسام) .

فلز داخل السيارة ، وأدار محركها ، هاتفا :

— سيسعدني سماع هذا الاطراء فيما بعد أيتها الزناد .. أما الآن

فأنتخذى مقعدك في سرعة ، واربطى حزام الأمان جيداً ، فستبدأ

المطاردة على الفور ، ولابد لنا من بدء الفرار الآن ، وإلا فلن

نعرف الرحمة طريقها إلى ما سيحدث بعد لحظات .

قلها وانطلق بالسيارة كالصاروخ ..

وبدأت المطاردة ..

\*\*\*

لم يكد صوت رصاصات المدفع الآلي ، يبلغ مسامع (فوستر)

ورجاله ، حتى تفجر القلق والدخشة في قلوب الجميع ، وهتف

(فوستر) :

— أسرعوا يا رجال .. أسرعوا لتفطية زملائكم .

اندفع عشرات الرجال لتجدة زملائهم ، في حين أضاف

(فوستر) :

— وأنت يا (دافني) .. خذ معك ثلاثة رجال ، ولستقل سيارتك

لمطاردة (داني) وزميلته ، لو أن هذه الرصاصات تعنى تجاههما  
في الفرار .

هاتف به (داني) ، وهو يسرع نحو سيارته :

- وماذا عنك يا سيدى ؟

أجابته (فوستر) :

- سأكون الغطاء الجوي لكم يا رجل .

انطلق (داني) بسيارته ، بصحبة الرجال الثلاثة ، وغير  
طريقا مختصرا قصيرا ، قاده مباشرة إلى الطريق الأسفلتى .  
حيث بدت سيارة (حسام) و (منى) ، وهى تتطلق مبتعدة ، فصاح  
(داني) برجاله :

- استعدوا يا رجال .. مستنفذه هذه السيارة لسفلى .

ضبطت دواسة الوقود حتى نهاية مداها ، وانطلق بسيارته  
المزودة بدائرة سرعة إضافية ، للحاق بسيارة (حسام) ، الذى  
زاد من سرعته بدوره ، عندما لمس سيارة (داني) ، وقال  
(منى) :

- بدأت المطاردة الفعلية أينها الرائد .. أخبريتى .. هل يمكنك

إطلاق النار ، من الزجاج الخلفى .

التقطت المدفع الألى ، وعبرت من فوق مقعدا إلى الأريكة  
الخلفية ، فالتفت فى حزم :

- بالتأكيد .

حطمت الزجاج الخلفى بعدة ضربات من نصب مدفعها وصوت

فوهة المدفع إلى سيارة (داني) ، وأطلقت النار ..

رأت الرصاصات ترتطم .. بزجاج السيارة وجسمها ، ثم ترد

عنهما فى علف ، دون أن تترك فيهما إلا عدة خدوش بسيطة ،  
فهتفت بـ (حسام) :

- إنها سيارة مصفحة .

عقد حاجبيه فى توتر ، وهو يقول :

- وسرعان ما نفوق سرعتها .

كان يطلق بأقصى سرعة تسمح بها سيارته ، ولكن سيارة  
(داني) كانت تقترب بسرعة ، مما جعل (حسام) يقول :

- لابد من مناورة مباغتة .

ثم هتف فجأة :

- تشبثي أينها الرائد .

وجنب نراع فرامل اليد الإضافية فى قوة ، مما كبح حسيح  
سيارته على نحو مباغت ، ثم أدار عجلة القيادة فى سرعة ، وترك  
السيارة تدور حول نفسها نصف دورة ، لتواجه سيارة (داني) ،  
الذى هتف :

- ما الذى يفعل هذا المجنون ؟

وبمناورة مذهشة ، انطلق (حسام) بسيارته نحو سيارة  
(داني) صاخبا :

- الإطارات أينها الرائد .. صوبى إلى الإطارات .

أطاعته (منى) دون تفكير ، وانطلقت حتى بدت إطارات  
سيارة (داني) ، فأطلقت رصاصاتها نحوها بلا تردد ..

واتفجر الإطارات الأماميان لمسيارة (داتس) ، الذي فقد سيطرته عليها ، وحاول منعها من الخروج عن الطريق في استماته ، وهو يصرخ :

- أيها الأوغاد ؟ أيها الأوغاد !

ومرة أخرى جثبد (حسام) ذراع فرامل اليد الإضافية ، ودار بالمسيارة نصف دورة ، وانطلق في مساره الأول ، هاتفا في الغلر :

- لقد هز منا هم أيها الرائد .. انتصرتنا على عمالقة المخابرات الأمريكية .

فوجيء بها تقول في صوت مرتجف :

- ليس بعد ..

لم تكذ لتفعلها ، حتى انقطعت أفناء طنين مروحة الهليكوبتر ، التي تقترب منه في سرعة ، فالتفت حاجبا ، وهو يقول في ثوتر :

- يبدو أنهم يستخدمون سلاحهم الجوي أيضا .

لم يكذ وتم عبارته ، حتى انهالت رصاصات مدفع الهليكوبتر على السيارة ، واخترق بعضها سفلها ، والمقعد الذي كانت تحتله (منى) ، وهشم زجاجها الأمامي ، فهتفت (منى) في دعر :

- إنهم يجيدون التصويب .

أدار (حسام) عجلة القيادة ، قائلا في حزم :

- فلنجعل مهمتهم عبيرة على الأقل .

اتخذ في انطلاقة مسارا متعرجا ، وراحت الرصاصات تتهمر عن يمينه ويساره ، وبعضها ينجح في إصابة جسم السيارة ، وقالت (منى) :

- إنك بهذا تمنعني من التصويب .

سألها في دهشة :

- أنتاولين إطلاق النار على الهليكوبتر ؟

هتفت في حزم :

- ولم لا ؟

أطلق ضحكة جذلة ، وقال :

- نعم .. ولم لا ؟

ثم أضاف في حزم :

- هيا .. استعدى .. سأخذ فجأة مسارا مستقيما ، وعندئذ أطلق النار عليها .

واستدل في مساره فجأة ، هاتفا :

- الآن .

وهذا رفعت (منى) مدفعها ، وأطلقت سيلان الرصاصات على الهليكوبتر ..

ولكن الرصاصات ارتدت عن جسم الهليكوبتر وزجاجها ، كما فعلت مع سيارة (داتس) ، فهالكت (منى) ، قائلة في إحباط :

- إنها أيضا مصفحة .

سرى التوتر في جسد (حسام) ، وعاد للاتطابق في مسار متعرج ، مقسقا :

- رهاه .. إننا نواجه تكنولوجيا جيتهم كلها .

ثم لمح لافتة على جانب الطريق ، فهتف :



- ولكن هناك أملاً .

سألته في لهفة :

- ما هو ؟

أجاب في حزم :

- لقد اقترينا من (نيويورك) ، ولو نجحنا في دخولها ، فلن

نتمكن الهليوكوبتر من الظفر بنا .

كانت متوترة :

- لو لم تظهر بنا قبلها .

لوح بكفه ، عاتفاً :

- إنه كيلو متر واحد ، ستقطعه في أقل من نصف الدقيقة ،

وبعدنا بثلاثي الخطر .

ولكن في نفس اللحظة ، داخل الهليوكوبتر ، كان الطيار يقول

لـ (فوستر) :

- إنه مراوغ بارع ياسيدى .. لابد أن نعرف بهذا ، وسيلعب

(نيويورك) بعد لحظات ، وعندئذ لن يمكننا مواصلة إطلاق النار

عليه .

هاتف (فوستر) في غضب :

- لماذا ؟

أجاب الطيار في دهشة :

- لأنه سيدخل المدينة ياسيدى ، ولو أطلقنا رصاصة واحدة

داخلها ، فلن يفر لنا مخلوق واحد هذا .

قال (فوستر) في صمط :

- اللعة على تلك الديموقراطية .

ثم هتف بالطيار :

- فلتمنعه إذن من بلوغ (نيويورك) ، وبأى ثمن .

أجاب الطيار في حماس :

- سمعاً وطاعة ياسيدى .

كان (حسام) لحظتها يقول لـ (منى) في حماس :

- ها هي ذى (نيويورك) أبنتها الرائد .. ستبلغها بعد لحظات ،

ولتجاوز دائرة الخطر ، و... .

وفجأة تجاوزته الهليوكوبتر ، إلى نهاية الطريق ، الذي يقود

إلى (نيويورك) ، واستدارت تواجهه ، مما جعله يبتتر عبارته ،

مغمضاً في توتر :

- ماذا يفعلون ؟

وهنا انطلقت الهليوكوبتر في مواجهته ...

وأطلق مدفعها النيران نحوه ..

وشالت المواجهة

أخطر مواجهة .

\*\*\*



## ٨ - المدينة ..

ماذا تفعل ، عندما تواجهك هليوكوبتر مسلحة مصفحة ،  
تسارك بالنيران ؟ ..  
من المؤكد أن الجواب - المنطقي - لمثل هذا السؤال ، هو  
الاستسلام دون قيد أو شرط ..  
لو أن الاستسلام ممكن ..  
وفي ذلك الموقف ، الذي يواجهه (حسام) و (منى) ، فكرت  
(منى) نفسها في الاستسلام دون قيد أو شرط ، بل وتمت لحظة  
لو أن هذا ممكن ..  
ولكن (حسام) كان يرفض الفكرة تماماً ..  
لم يكن من السهل عليه أن يتقبل فكرة الاستسلام ، وهو على  
بعد نصف الكيلومتر ، من أول طريق النجاة ..  
لذا فلم يتوقف (حسام) ..  
صحيح أن الهليوكوبتر كانت تنقض عليه ، وتمطره  
برصاصاته ، وأن بعض هذه الرصاصات اخترق جسم السيارة ،  
وكاد يبلغ قدميه ، وأن زجاج السيارة تهشم تماماً ، وعبرته بعض  
رصاصات ، مرقت فوق رأس (منى) ، قبل أن تعبر من النافذة  
ال خلفية المحطمة ، ولكن (حسام) لم يتوقف ..  
وعلى العكس تماماً ، ضغط بواسطة الوقود بقوة أكبر ، وكأنما  
يحاول إجبار السيارة على الانطلاق بسرعة تفوق مرعتها  
القوى ..

والجوع (فومستر) وطيار الهليوكوبتر ، بهذه المبادرة  
المدهشة ، فهتف الأول في دهشة عارمة :  
- ما الذي يفعله هذا المجنون ؟  
أجابه الطيار في توتر :  
- من الواضح أنه شديد العناد .. إنه يفضل الموت على  
الاستسلام ..

صاح (فومستر) :  
- انصه إذن .. أطلق عليه أحد صواريخنا ..  
هتف الطيار ، وهو يجنب عصا القيادة إليه في قوة :  
- لم تعد المسافة تسمح بهذا ..  
- رأى (حسام) الهليوكوبتر ترتفع ، فعاد إليه الأمل ، وأخذ  
يكول :

- سلتجح أيتها الملازم .. سننجح بإذن الله ..  
ولكن (فومستر) صاح بالطيار في غضب :  
- أطلق نيرانك على خزان الوقود .. هيا .. بسرعة ..  
استدار الطيار بالهليوكوبتر مرة أخرى ، وراح يمتطر خزان  
الوقود برصاصاته ، في اللحظة التي هتف فيها (حسام) :  
- لقد وصلنا ..  
وهذا أشعل خزان الوقود ، وارتفعت منه ألسنة اللهب ،  
أصاحت (منى) :  
- السيارة مستفجرة ..

ضغط (حسام) إرامل السيارة في عنف ، فالتفت صرير  
الإطارات في قوة ، ودارت السيارة حول نفسها أكثر من مرة ،

قبل أن تتوقف على جانب الطريق ، بالقرب من مدخل المدينة ،  
وهنا (حسام) :

- بسرعة أيتها الرائد .. بسرعة .  
فلر مع (منى) خارج السيارة ، ورأهما (هوستر) يعدوان  
نحو المدينة ، فصرخ بالطيار :  
- اقتلها .. اقتلها قبل أن نفقد أثرهما .  
ولكن الطيار صاح :

- لم يعد بإمكاننا هذا .. لقد دخلنا المدينة .  
ومع آخر حروف كلماته ، انفجرت السيارة بدوى هائل ،  
لتضع نهاية لهذه المرحلة من الصراع ، وبداية لمرحلة أخرى ..  
مرحلة المطاردة ..

\*\*\*

تطلع قائد بوليس (ليويورك) لعظمت ، إلى ذلك الخطاب  
الرمسى ، الذى يمسكه بين يديه ، ثم رفع عينيه إلى الرجل العتيد  
البنيان ، الذى يقف أمامه صامتا ، مرتديا منظارا شمسيا دكنا ،  
على الرغم من وجوده داخل الحجرة ، وسأله :  
- أنت واثق من أن هذا شخص (سى - آى - إيه) مباشرة ؟  
أوما الرجل برأسه إيجابا ، وقال فى برود :  
- ستجد لديك كل الأوراق والتوقيعات الرسمية ..  
قال قائد البوليس فى خشونة :  
- لقد رأيت هذا .

ثم وضع الخطاب على سطح مكتبه ، والتفت لمسئرين ، يقترب  
شكلاهما من هيلتي (حسام) و (منى) ، وقال :

- إذن فالمطلوب منا هو تجديد معظم رجالنا ، للبحث عن رجل  
وكتاة ، لهما هذا الشكل ، ثم نقوم بتسليمهما إلى  
ال (سى - آى - إيه) .

فصم الرجل بنفس البرود :  
- هذا صحيح .

رفقه قائد البوليس بنظرة تشك عن عدم الارتياح ، ثم أراح  
الصورتين جانباً ، وقال :

- ولماذا خالفت ال (سى - آى - إيه) القاتون ، وعملت داخل  
البلاد .. أليس من المفروض أن الأعمال الداخلية تخصنا ، أو  
تخص ال (إف - بى - آى) ؟  
أجاب الرجل :

- إنها عملية خارجية ، ولكن تطور الأمور فاندنا إلى الداخل ،  
رفق قائد البوليس :

- هكذا ؟

ثم هز رأسه لتحظات فى صمت ، قبل أن يضيف :  
- لقد وجدتم حلا قانونيا .. أليس كذلك ؟

بدا شيخ ابتسامة على ركن شفطي الرجل ، وهو يقول فى  
الفتشاب :  
- بالتأكيد .

لر قائد البوليس فى ضيق ، ثم ضغط أحد الأزرار على  
مكتبه ، فوافته سكرتيرته على الفور ، وهى ترتدى زيها  
الرمسى ، وتناولها صورتي (حسام) و (منى) ، وهو يقول :  
- خذى يا (ليا) .. اصنعى مئات النسخ من هاتين الصورتين ،



وأرسلني نسخة من كل منهما إلى كل رجل من رجالنا ، في أركان  
(نيويورك) كلها ، وأبلغني الجميع أن هذا الأمر يصور أولوية  
مطلقة .

أخذت السورتين ، قائلة :

- سألتك هذا على الفور يا سيدي .

ولم تنس أن تكتب نظرة على الرجل ذي المنظار الداكن ، قبل أن  
تغير المكتب .

وفهمت على الفور أن الأمر هذه المرة بالغ الأهمية .  
والخطورة .

\*\*\*

جلس (حسام) أمام المرأة المتهالكة ، في حجرة رديئة ، من  
حجرات فنادق الدرجة الخامسة ، في أحد أحياء (نيويورك) .  
يثبت تحت أنفه شارباً مستعاراً أشقر اللون ، بعد أن انتهى من  
ارتداء شعر أشقر مستعار ، وعصيتين زرقاوين لعديده ، ثم التفت  
إلى (مني) وسألها :

- ما رأيك ؟

شعرت بشيء من خيبة الأمل ، وهي تتطلع إلى تنكره ، الذي بدا  
لها ، على الرغم من إنشائه ، أشبه بلعبة من لعب الأطفال ، مقارنة  
بما كان يقوم به (أدهم صبري) قديماً ، ولكنها تستمت :

- لا بأس .

كانت ترتدي بدورها شعراً مستعاراً ، له لون مستثنى لاصع ،  
ومنظراً ضحكاً ، أبداً هيئتها تماماً ، ولكنها كانت تعتقد أنه من

السهل على أي شخص تعرفها هي و (حسام) ، لو أنه يبحث  
عنهما بالذات ، مما يملأ نفسها بالقلق والخوف ، والكثير من  
التوتر ، على عكس (حسام) ، الذي بدا هادئاً وثقاً ، وهو يقول :

- كل ما علينا الآن هو أن نغادر هذا الفندق الحظير ، وبعدنا  
يمكننا قطع (نيويورك) كلها ، حتى نبلغ تلك المنزل الآمن ، في  
مواجهة منزل عزيزنا (هوستر) .

سألته في قلق :

- هل تتولى حقاً العودة إلى هناك ؟

أجاب في حزم :

- إنه أفضل مكان نذهب إليه ، فلن يتصور أحدهم أبداً أن نفر  
منهم ، ثم تعود إليهم هكذا .

أومأت برأسها متلهفة ، وقالت :

- ربما كنت على حق .

ابتسم قائلاً :

- اطمئني .. إنني على حق .

في نفس اللحظة ، التي تنطق فيها عبارته ، كان لشبان من  
رجال الشرطة يسفلان إلى الفندق الحظير ، وأحدهما يقول للآخر :

- مسطرة يا (ماك) .. إنني أحترم أسلوبك في التفكير ، ولكنني  
أعتقد أنه ما من جاسوس عاقل ، يقبل بالمعبية في فندق (ماريو)  
الحظير هذا .

أجابها (ماك) في حزم :

- ولو .. لابد لنا من دراسة كل الاحتمالات يا (آرثر) .

ثم تلقت حوته هائلاً :

- (ماريو) .. أين أنت يا رجل؟

بقى براحتة جرساً يدانياً صمناً ، فوق منضدة استقبال متأنكة ،  
فظهر من باب جانبي رجل نحيل ، طويل الأنف ، يمسك بشفتيه  
بقايا سيجارة ، كاد رمادها يحرق شفتيه ، وشعيرات ذقنه  
الناعية ، وهو يقول بعينين نصف مغلقتين :

- مساء الخير يا (ماك) ، وأنت يا (آرثر) ، ما الذي أتى بكما  
هذه المرة ؟ .. لقد قطعت كل صلاتي بالنساء والمخدرات ، و...  
قاطعه (آرثر) في صرامة :

- لسنا هنا للتفتيش على الأشياء الروتينية يا (ماريو) .  
شغف الرجل في ارتياح وهو يلوك الكلمات بشفتيه ، كما لو  
كان يضع عقب السيجارة المشتعل بينهما :

- حقاً ؟

أخرج (ماك) من جيبه صورتي (منسى) و (حسام) ،  
ووضعهما أمام (ماريو) ، قائلاً في لهجة خشنة :

- هل سبق لك رؤية هذين؟

ألقى (ماريو) نظرة خاوية على الرسمين ، وقال :

- أهذا هو الرسم ، الذي يتم صنعه ، باستخدام أوصاف  
المتهمين . و...

قاطعه (ماك) :

- هل سبق لك رؤيتهما ؟

ألقى (ماريو) نظرة أخرى على الرسمين ، ثم سأل (ماك) في  
اهتمام :

- أتوجد مكاناً للإرشاد عنهما ؟

أجاب (ماك) في ضيق :

- لا .. لا توجد أية مكافآت .

وأضاف (آرثر) في سرعة :

- ولكن هناك استعداد للتنازل عن بعض التجاوزات .

مرر (ماريو) بلهجته نصف الناعمة :

- حقاً ؟

ثم أشار بيده ، مستطرداً :

- إليهما يا على .. ثلاث حجرة (إلى اليسار) .

تبادل (ماك) و (آرثر) نظرة ملؤها الدوشة ، قبل أن يسأله  
(آرثر) في انفعال :

- أنت واثق يا (ماريو) ؟ .. انظر للرسمين مرة أخرى .

بحسب (ماريو) الجزء الأخير من عقب السيجارة ، وسدقه  
بقدمه في قوة ، وهو يقول في تراخ :

- أنا لا أنسى أبداً وجهاً رأيت من قبل .

تبادل (ماك) و (آرثر) النظرات مرة أخرى ، وقال الثاني  
للأول :

- اخرج أنت للطريق الجانبى ، وراقب السلم الخلفى جيداً .  
أما أنا ، فسأصعد مع (ماريو) إليهما .

قال (ماريو) معترضاً :

- ماذا تفعل يا رجل ؟ .. لقد أرشدتك إليهما لحسب .

اندفع (ماك) مغافراً المكان ، لمراقبة الشارع الجانبى ،  
وسلام الطوارئ الخافية ، في حين جذب (آرثر) (ماريو) من  
ياقته ، وهو يقول في صرامة :

- ستصعد معى يا رجل ، شئت أم أبيت .



اندفع (أولر) نحو النافذة المقروحة ، ولكنه لم يجد سوى برأسه منها ،  
حيث تلقى ركلة عنيفة في أنفه ، أسقطته على ظهره .

هناهم (ماريو) بحجارة ساخنة ، وسعد معه إلى الطابق  
الثاني ، عبر درجات خشبية مثاقلة ، حتى بلغا حجرة (حسام)  
(ملي) ، فلقى (ماريو) بابها ، وقال :  
- معترية أيها السيد المحترم .. هل تطلب شيئاً من الشراب ؟  
أتاه بصوت (حسام) يقول :  
- لا .. فهم الآن .  
وهذا أزعج (أرثر) (ماريو) جانباً ، وهو يقول :  
- بكفك هذا يا رجل .  
ثم ركل الباب بقوة في قوة ، فانتزعه من مفاصله الصفدة ،  
وألقاه وسط الحجرة ، وهو يلتزع مستعصم ، ويهتز وسطها ،  
صانحاً :  
- استسلموا .. المكان محاصر .  
توالت لحظة في التوتر ، عنفما لاحظ أن الحجرة خالية ، ولكنه  
مصرح في اللحظة نفسها نداء رصاصتين ، مقترنات بصوت  
(ماتك) ، وهو يصرخ في الخارج :  
- (أرثر) .. إنهما يحاولان الفرار .  
الندفع (أرثر) نحو النافذة المفتوحة ، ولكنه لم يجد بطل برأسه  
متها ، حتى تلقى ركلة عنيفة في أنفه ، أسقطته على الظهر ، ثم  
ألقى (حسام) داخل الحجرة ، هاتفاً :  
- معترية يا رجل .. منأسعير مستعصمك .  
ندى في الوقت نفسه صوت رصاصة ثالثة ، اصططعت بحافة  
النافذة ، قبل أن تغلظ (ملي) عبرها إلى الداخل ، وتراجع  
(ماريو) ملوفاً بكفكه ، وهاتفاً :



- إنتي لم أخبر عما شيلنا .. أقسم لكما -

أما ( أرث ) ، فحاول أن يقتل ، قاتلا :

- لن تحصل على مسمى إلا فوق ..

قاطعه (حسام) برعلة أخرى قوية في ثقله ، أفقته الوعي ، فسقط رأسه مرتطمًا بالأرض ، وانحنى (حسام) في سرعة يلتقط المسدس ، وهو يقول : ( ماريو ) في صرامة :

- ابتعد يا رجل .

فلما ( ماريو ) جاتبا ، ومرت (حسام) و (منى) من جانيه ، إلى خارج الحجرة ، ودوت خلفهما رصاصة رابعة من (مالك) ، الذي رفع جهازه اللاسلكي ، وهتف عبره في توتر شديد :

- هنا (مالك) ، من الفريق السابع .. لقد عثرنا على الهاربين ، وأحتاج إلى تجنيد قريبة وسريعة ، وإلى محاصرة المنطقة كلها .

لم يسمع (حسام) و (منى) هذا ، ولكنهما انطلقا بأنفسهما سرعتهما ، لمعادرة الغنشق الحظير ، واندفع (مالك) محاولا اعتراضهما ، وهو يهتف :

- توقفوا أو أطلق النار .

ولكن (حسام) استدار إليه في سرعة مدعشة ، وأطلق عليه رصاصة ، أفقته أرضا ، ثم واصل اندفاعه نحو سيارة الشرطة ، و (منى) تهتف به :

- في هذا تختلف كثيرا عن (أنهم) .. إنه لم يكن سرفا في سفك لماء الآخرين منك .

قفز داخل سيارة الشرطة ، قاتلا في صرامة :

- اركبي بسرعة أيتها الرائد .

قفزت إلى جواره ، فأدار محرك السيارة ، وانطلق بها خارج الشارع ، ثم انصرف يمينا في عطف ، وتجاوز سيارة شرطة أخرى ، حاولت اعتراض طريقه ، وأطلق لسيارته الضمان ، وخلفه تدوي أبواق سيارات الشرطة الأخرى ، قبل أن يقول في ضيق :

- لقد أصيبت تلك الشرطة في كتفه فحسب .

هتفت :

- حقا ؟ .. لقد تصورت أن ..

قاطعهما في حدة واضعة :

- متفجّل الحديث عن هذا لما بعد أيتها الرائد .. الآخرين أن تصاب شرطة (نيويورك) تطاردا .

التفت خلفها ، لترى خمس سيارات شرطة تطارد سيارتهما في أصرار ، و (حسام) يزاوغها كلها في مهارة مدعشة ، فينعرف في طريق جاتني ، أو يتجاوز إشارة مرور ، أو يسيّر عكس خطوط السير المعتادة ..

ولم يكن ذلك سهلا ..

لم يكن كذلك أبدا ، في مدينة شديدة الازدحام ، مثل (نيويورك) ..

ولجأة ظهرت أمامهما بعض العتارين ، التي أقامها رجال الشرطة ، فصاحت (منى) :

- احترس يا (حسام) .

لم يجب ، وإنما زاد من سرعته ، ورأى يتأق رجال الشرطة منصوبة إليه ، فتهتف في حزم :

- الحنى وتشبثي جيداً أيتها الرائد .

أطلق رجال الشرطة تيران بئادهم عليه ، واغتسرت رصاصاتهم زجاج النافذة ، وحدثت إصداها قتله ، في حين مرقت الثانية على قيد سنتيمتر واحد من عنقه ولكنه واصل انطلاقته ، ورفع إطارات السيارة نحو عذافة الأفريز ، و...

ولفزت السيارة في الهواء .

فلزت كطائرة صغيرة ، تشق الهواء ، ثم تهبط على إطاراتها في عنف ..

وقفزت السيارة مرة أخرى عندما ارتطمت إطاراتها بالأرض ، ثم واصلت انطلاقها بنفس السرعة ، ورصاصات الشرطة تنهمر على زجاجها الخلفى ، وتحمله إلى فئات ..

ولمضت (منى) من أتحافها ، وبقيان الزجاج المحطم يغمرها ، وهتفت :

- لا يسطى إلا الاعتزالك بالبراعة ، ولكن هل ستواصل هذا طيلة الليل ؟

أجابها في حزم :

- كلا بالطبع ، ولكننا فقدنا مطارديننا الآن على الأقل ، وهذا يمنحنا بعض الوقت ، لتبديل خطتنا ..

لم يكدهم حديثه ، حتى سقط فرامل السيارة في عنف ، وأوقعتها إلى جانب الطريق ، هاتفاً في (منى) :

- هيا .

غادرت معه السيارة ، وانطلقا يحوان جنباً إلى جنب ، عبر طرق جانبية ضيقة ، حتى بلغا نهاية ضيقة ، فقال (حسام) :

- أراهن أن إحدى لوائح هذه البداية تطل على أسطح المباني المجاورة .

خلفاً من سرعتهما ، واتجهتا إلى البداية ، ولكن حارسهما استوقفهما ، قائلاً :

- مهلاً .. أليكما أية مواعيد مباحة ، لمقابلة أحد السكان هنا ؟

كادت (منى) تنفث هذا ، ولكن (حسام) قال بسرعة :

- ومنشأنا بالمواعيد ؟ ، إنما هنا لاستجار شقة بالبداية .

مط الحارس شفتيه ، وقال :

- لا توجد شقق خالية بالبداية كلها .

أجابها (حسام) بمنتهى الهدوء :

- ولكن هناك شقة مستغلو قريباً ، لمستر (مارك) وعائلته سينتقلون إلى العاصمة (واشنطن) ، و...

قاطعه الحارس في صرامة :

- لا يوجد هنا من يحمل اسم (مارك) .

ضحك (حسام) ، قائلاً :

- لا ريب أنك مخطئ يا رجل .. لا يمكنك حفظ أسماء جميع السكان هنا بالطبع .

قال الحارس في صرامة أكثر :

- قلت لا يوجد ساكن واحد ، يجعل اسم (مارك) .

لوح (حسام) بكفه ، قائلاً :

- أنت مخطئ حقاً .. إننى أحمل بظاقتي

فيس يده في جيبي ، ثم أخرجها فجأة ، وهي تحمل اسماءه ، ودفع الحارس إلى الخائط في عنف ، وهو يالصق قوة مسدسه بعنقه ، قائلاً في أسوة :

- هل تعرفت البطافة ؟

صاح الحارس في دهر :

- لمست أمك مالا .

دفعه (حسام) أمامه ، قائلا في غلظة :

- افتح البوابة .

هتف الحارس :

- سأفقد عملي لو فعلت .

أجاب (حسام) في حدة :

- سأفعل أنا إنش .

ثم أدار فوهة مسلحه إلى البوابة الزجاجية الضخمة ، وأطلق

النار ..

وانهارت البوابة الزجاجية محطمة ، إثر التصادمات التي

أصابتها ، ولكنها لم تنكسر سقط ، حتى انطلقت صفارات إنذار قوية

في المكان . وهتفت (منى) :

- يا الهي ! .. الأمر يزداد سوءا .

هتف (حسام) بدوره :

- ليس بعد .

وهوى على فك الحارس بكلمة كالقنبلة ، أسقطته فاقد

الوعي ، ثم أمسك يد (منى) ، وصاح :

- هيا بنا .. سننجح فقط لو أننا الأسرع .

انطلقا بعنوان إلى داخل البناية ، واستقلا أحد مصاعدها

الأربعة إلى الطابق العاشر ، وهناك أسرعوا نحو نافذة تطل على

بناية جالبيه ، وقال (حسام) :

- المسافة من هنا إلى سطح تلك البناية المجاورة ، لا تزيد  
على ثلاثة أمتار .. يمكنك القفز عبرها ؟

هزت رأسها نفيا ، وقالت :

- لا .. لا يمكنني هذا .

قال في حزم :

- بل يمكنك هذا .

أخرج مسدسه ، وأطلق رصاصاته على الزجاج ، فحوّله إلى

فتات تناثر في الهواء ، وتراجع قليلا .

- هيا أيتها الرائد .. سنعبّر هذه الأمتار الثلاثة .

صاحت به :

- لن يمكنني هذا أبدا .

هتف في صرامة :

- حاولي .. ليست أمامنا وسيلة أخرى .

تراجع أكثر ، ثم اندفع نحو النافذة المحطمة ، هاتفا :

- سأبدأ بنفسي .

رأته يدعو نحو النافذة ، ثم يقفز معتمدا بقدمه اليمنى على

حافته السفلى ، ويدفع جسده كله في الهواء ، فلم تماك نفسها

من انغلاق شهقة قوية ، وجسده يسبح على ارتفاع ثلاثين مترا ،

لثلاثين أو أكثر ، قبل أن تستقر قدماء على سطح المبنى

المجاور .

وفي حواس ، التفت إليها ، وهتف :

- هيا أيتها الرائد .. لقد نجحت أنا ، ويمكنك أن تنجح مثلني .

تراجعت في القى ، وخيل إليها أنها لن تنجح أبدا ، ولكن صوت



أوراق سيارات الشرطة بلغ مسامعها ، وأدركت أن صفارة الإنذار قد أرشدتهم إلى موقعهما . وأنه لم يعد هناك من أمل ، سوى التراجع في القلز إلى سطح البناية المجاورة ، فالتكلمت نفسها عسفاً ، وقرأت في أعماقها آية قرآنية قصيرة ، ثم اندفعت بكل قواها ، حتى بلغت النافذة ، فقفزت إلى أطرافها السفلى ، ثم دفعت جسدها إلى الأمام ..

وانسحبت عيناها في رعب ، عندما أدركت من خط سير جسدها .. أنها لن تبلغ السطح أبداً .

وكانت على حلق ..  
لقد أخطأت السطح بنصف المتر فحسب ، ووجدت نفسها تهوى ..

تهوى من ارتفاع ثلاثين متراً ..  
وبلا أمل .

\*\*\*



- ٩٦ -

## ٩ - الحصار ..

اندلع (داني) إلى حجرة مكتب (فوستر) ، وهو يهتف في حماس :

- لقد عثرت عليهما الشرطة .

رفع (فوستر) عينيه إليه ، ومأنيه في لهفة :

- هل أنكروا القبض عليهما ؟

هز (داني) رأسه نفياً ، وقال :

- ليس بعد ، ولكنهم يطاردونهما عبر شوارع المدينة .

مط (فوستر) شفتيه نفياً ، وقال :

- لن يظفروا بهما .

مأنيه (داني) في دسلة :

- ولماذا تترحم بهذا يا سيدي ؟

لمرح (فوستر) بكفه ، وقال :

- لأنه أمر طبيعي .. من يلحق الآخر في رأيك ، الشرطة أم

المطارحات ؟

ابتسم (داني) في شدة من الغضب ، قائلاً :

- وهل يحتاج الأمر إلى التساؤل ؟

ابتسم (فوستر) بدوره ، قائلاً :

- هذا هو الجواب إذن .

عاد (داني) يعقد حاجبيه ، وهو يقول :

٩٧

ما لأهل (إن) ٢٠٠. إننا لا نستطيع الاشتراك في المطاردة ،  
ومن الضروري في الوقت نفسه ، أن نلظر بهما .  
بنت علامات التفكير العميق على وجه (فوستر) ، وهو يعتمد  
بجذبهته على أصابعه المرفوعة ، مرفداً :

- لا بد من وجود وسيلة ما .. لابد .

رأى صمت تام على الحجرة ، لم يجرؤ (داني) على قطعه ، أو  
مناقشة تفكير رابسه ، الذي جمد في مكانه طويلاً ، حتى بدأ أشبه  
بتسأل من الرغام ، قبل أن يعتدل يقته ، وعينه تبرقان في شدة ،  
وهو يهتف في جراحة :

- نعم .. هذه هي الفترة .

مسألة (داني) في لهفة :

- هل توصلت إلى شيء ما يا زعيم ؟

أزداد يريق عيني (فوستر) ، وهو يقول :

- بالطبع يا عزيزي (داني) .. بالطبع .

ثم نهض من خلف مكتبه ، مستطرداً :

- دع رجال الشرطة يواصلون مطاردتهم لخصميتنا  
يا (داني) . ولنعمل نحن بأسلوبنا ، وسأرى من يربح اللعبة في  
النهاية .. من يربحها في رأيك ؟

ابتسم (داني) قائلاً :

- هل تسألني ؟

كان الجواب يحصل الكثير من الثقة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد  
بقي السؤال فوق رعوس الجميع ..  
من يربح اللعبة في النهاية ؟  
من ؟

\*\*\*

٩٨

لم تنجح (متي) في فلاتها ..  
لم تمكنها عضلاتها الأتوية الضعيفة من عبور هذه الأمتار  
الثلاثة بقلعة واحدة ..

ورأت نفسها تمسك ..

تمسك من ارتفاع عشرة أدوار ..

واستعت عيناها في رعب ، وأطلقت صرخة فرح ، وهي تمد  
يدها للتثبيت بأي شيء ، أو أي شخص ، أو ..

وفجأة أمسكت يد قوية بمعصمها ..

يد ذات أصابع حديدية ، أحاطت بمعصمها في قوة لتمنعها من  
السقوط ..

كانت أصابع (جسام) ، الذي تثبت بحافسة النور بيده  
البعري ، وهو يقبض على معصمها بيده اليمنى ..

وشعرت (متي) بالألم شديدة في يدها ، وهو يجذبها إليه في  
قوة ، غانقاً :

- أخطأت بتصف المتر فمصب .

توجع في رقبها ، بجذبة واحدة ، إلى حافة السطح ، فتشبثت  
بها ، وجذبها هو مرة أخرى بكل قواه ، لتجد نفسها رائدة على  
السطح ، وهي تلهث في قوة والفضال ، وهو يقول في خفوت :

- اهتني .. لقد انتهى كل شيء .. لقد نجوت .

قالت بصوتها اللاهث :

- لقد .. لقد أنقذت حياتي .

ابتسم ابتسامة خفيفة ، وهو يقول :

- نسعنتي أن فعلت ..

ثم غمز بعينه ، مستطرداً :  
 - ولكننا سنضطر للتصريف ، قبل وصول رجال الشرطة  
 للأسف .  
 أو ماتت برأسها إيجاباً ، وهي تنهض في تهالك ، قائلة :  
 - أعلم هذا .. أعلم هذا .  
 عاولها على النهوض في رفق ، وقادها نحو باب السطح ،  
 قائلاً :  
 - سيكشفون أمر قفزنا إلى هنا ، بعد خمس دقائق على الأكثر ،  
 والمفروض أن نتجح في الابتعاد عن هنا بأقصى سرعة ، قبل هذه  
 الدقائق الخمس ..  
 قالت في خلوت :  
 - سأبذل قصارى جهدي .  
 لم تترك لماذا بدا لها - في هذه اللحظة بالذات - شديد الشبه  
 بـ (أدم صبري) ؟  
 ربما لأنه أنقذ حياتها ..  
 أو لأنه كان خلوتاً رقيقاً ..  
 أو لسبب لم تذكره بعد ..  
 المهم أنها شعرت ، وهي تهبط معه إلى الطابق المظلي ، في  
 الشارع المظلي ، وكأنها تنسحب إلى جوار (أدم) نفسه ..  
 وعندما بلغا ذلك الطريق ، خلف البناية الضخمة ، أشار إلى  
 سيارة متوقفة ، إلى جوار المبنى المجاور ، قائلاً :  
 - ها هي ذى وسيلة المواصلات ، التي سنتقننا بعداً عن هنا .  
 سأنته :  
 ١٠١



بد ذات أصابع حديدية ، أحاطت بحصنها في قبة النعما من السقوط ..



- وكيف ستحصل عليها ؟

هل كنتبه ، قائلا :

- الضرورات تبيح المحظورات يا عزيزتي .. إننا منصرفها

بالتعب

معت شفتيها ، قائلة :

- هذا يشعرني بالآثم ، ولكنك على حق .. الضرورات تبيح

المحظورات .

أخرج من حزامه أداة رفيعة ، دسها في ثقب مفتاح باب

السيارة ، وأخذ يعالجه في هدوء ، حتى سمعت (منى) نكة

خافتة ، قال (حسام) بعدها :

- ها هي ذي .

ثم فتح الباب في حرص ، وفلقت يده في سرعة ، تضغط زر

الإضاءة داخل السيارة ، قبل أن ينطلق جهاز الإنذار ، الذي

يشيفه الأمريكيون عادة إلى سياراتهم ، وقال لـ (منى) :

- هيا .. أسرعى إلى الجانب الآخر .

جلس خلف عجلة القيادة ، ورفع سبابهة عن زر الإضاءة ،

وهو يفتح الباب في سرعة ، ثم تضغط زر الباب الآخر ، وفتحه

لـ (منى) ، التي جلست على المقعد المجاور له في سرعة ،

وأغلقت بابها بدمرها ، وقالت في ارتياح :

- لم ينطلق جهاز الإنذار .

تمتم وهو ينتزع بعض الأسلاك ، من لوحة العدادات :

- لحسن الحظ .

أوصل الأسلاك ببعضها البعض ، فاشتعل المحرك ، واعتدل

هو وبمسك عجلة القيادة ، قائلا في حزم :

- إلى منزلنا الأمن ، دون توقف :

انطلق بالسيارة في هدوء ، وجير الشارع انطلق إلى الطريق

الرئيسي ، وواصل طريقه دون مشاكل ، حتى أن (منى) شعرت

بإرتياح شديد ، واسترخت في مقعدها ، وتركت جفنها العلوي

ينزلق في إرهاق ، ليلتقي بجفنها السفلي ، ويتراخيان معا وهي

تسبلهما في رفق ، وألقى (حسام) نظرة مشفقة عليها ، ثم واصل

طريقه وسط السيارات الأخرى في هدوء ، خشية إيقاظها .

ثم ظهرت سيارة شرطة في مفترق الطرق ، وهي توقف

السيارة القاذرة كلها ، لتفحص أوراقها وأوراق راكبيها ، فالتفت

حاجباه في توتر ، وهو يتمتم :

- أن تنتهي هذه الليلة أبدا ؟

انضم إلى طابور السيارات في بساطة ، وترك رجال الشرطة

يلحصون كل السيارات التي أمامه ، حتى حان دوره ، فاقترب

منه رجل الشرطة ، يقول :

- أوراقك يا سيدي .

ابتسم قائلا :

- أتريد أوراقا حقا أيها الشرطي ؟

قال الشرطي في صرامة :

- لا وقت لهذا المزاح يا سيدي .. أبرز أوراقك على وجه

السرعة .

هل (حسام) كنتبه ، وقال :

- حسنا .. مادعت تكره المزاح ، فليس أمامي سوى ..

ضبط دوايمة الوقود في سرعة ، مستطردا :

- الفرار -

انطلقت السيارة على نحو مباغت ، وارتطمت بجانب سيارة الشرطة ، ثم اندفعت مبتعدة في سرعة . وصاح رجل الشرطة ، وهو يصوب مسدسه إليها :

- إنه هو .. (نهما الهاربان .

انطلقت (منى) على صوت الرصاصات ، والتي أصابت (حداها) زجاج السيارة الخلفي وحظمتها تحطيماً ، فهتفت في ذعر :  
- ما هذا ؟

أجابها (جسام) في هدوء : وهو يراوغ بسيارته في مهارة ، مبتعداً عن دائرة الحصار :

- وأصلي نومك أينها الرائد .. إنه مجرد كمين آخر ، تجاوزناه في نجاح .

التفتت تنطلق إلى الزجاج المكسور ، قائلة :

- لكن ينتهي هذا ؟

ابتسم قائلاً :

- أظننا تجاوزنا دائرة الحصار .. هذا لو أن رجال شرطة (نيويورك) ، لم يطوروا كثيراً أساليبهم ، التي دربنا عليها الإدارة

قالت وهي تعتلل :

- ولكنهم سيبلغون أوصاف هذه السيارة للجميع ..

أجابها في هدوء :

- إنه أمر أبسط مما تتصورين ،

وضغط فرامل السيارة ، مستطرداً :

- سنتركها لهم -

أوقف السيارة ، وغادرها بنفس وسيلة دخولها ، دون أن ينطلق جرس الإنذار داخلها ، وابتسمت (منى) ، وهي تقول :

- هل منسرق سيارة أخرى ؟

قال في بساطة :

- لماذا ؟. اتنا سنفعل مثل أي نيويوركسي محترم .

ورفع سيارته ، مستطرداً بالهزيمة مرحة :

- سنستقل سيارة من سيارات الأجرة .

سارا في هدوء إلى شارع آخر ، وهناك استقلا سيارة من سيارات الأجرة الصفراء ، إلى منطقة قريبة من منزلهما الآمن ، ومن هناك واصلا طريقهما سيرا على الأقدام ، عبر عدد من الطرق المتشابكة ، حتى بلغا شقتهما ، ولم تكد (منى) تلمح البناية ، التي تضم الشقة ، حتى قالت في ارتياح بالغ :

- أخيراً .

ابتسم (جسام) ، قائلاً :

- يسهلني أن يروق لك المكان ، استنضطر لقضاء بعض الوقت فيه ، حتى نجد وسيلة أخرى ، لبلوغ موضع (هارولد) ، وإنقاذ من أبدى هؤلاء الأوغاد .

سألته وهما يصعدان إلى شقتهما :

- أتظننا سنجد وسيلة أخرى ؟

أجاب في حزم :

- إنني لا أفقد الأمل قط ..

بلغا الشقة ، وفتح هو بابها ، وقال في مرح :

- تفضل يا أميرنى .

دخلت إلى المكان ، وامتدت بهذا تضيء مصباح الزهرة ، و ..  
ولكن الأنواء غمرت المكان فجأة ، مع صوت ( فوستر ) ،  
وهو يقول فى لهجة تجمع بين السخريّة و الشامتة :  
- ما الذى أفركما حتى هذه الساعة ؟ .. إننا ننتظركما منذ زمن  
طويل .

وكان المكان يمتلك برجال المخابرات الأممية ..  
وبرائحة الموت .

\*\*\*



## ١٠ - السقوط ..

كان وقع المفاجأة ، على ( حسام ) و ( منى ) قاسياً بالفعل ..  
خاصة بعد كل هذا ..

لقد خاضا مع الكثير من المتاعب والصعاب ، حتى بلغا المكان  
الوحيد . الذى يتصوران أنه آمن ، فى ( نيويورك ) كلها ، فإذا  
بهما يسقطان فيه ، فى أيدي خصومهما ..

وفى وجهيهما ، ارتفعت فوهات عشرة مدافع آلية . ويبلغها  
بدت ابتسامة ( فوستر ) الشامتة الساخرة ، وهو يقول :  
- مرحباً يا عزيزى ( ناهيد ) .. مرحباً يا عزيزتى ( ليا ) .. بأية  
لغة تعللتما ، عندما دخلتما إلى هنا .

أجاب ( حسام ) فى حق :

- استنتج بتفكك أيتها العبقري .

ابتسم ( فوستر ) . قائلاً :

- إنها ليست العبرية على أية حال .

حاولت ( منى ) أن تصيغ صوتها بتيارة ارتياح ، وهى تقول :

- بالطبع .. إنه ليست العبرية .

وأثمرت محاولتها جيداً ، فقد رمقها ( فوستر ) بنظرة حادة

طويلة ، قبل أن يقول فى بطء :

- ( تكما تتعمدان عدم التحدث بها .. أليس كذلك ؟ )

أشاحت بوجهها ، دون أن تجيب . مما عمق الفكرة داخله ،

فقال فى صرامة :



- مستبهاً حرجاً شديداً لدواكتكما .

أجاب ( حسام ) في برود :

- ليس هذا من شأنك .

نهض ( فوستر ) من مقعده ، وأخرج من جيبه سيجاراً  
تسهما ، فضم طرفه . ثم وضع الطرف الآخر بين شفتيه ، وأشار  
إلى أحد رجاله ، فأسرع يشعله له ، ونفث هو منه نفاثاً عميقاً ،  
أقبل أن يقول :

- أعلمان .. أنني لا ألتفت في الواقع ، فمن الخطأ - كما  
تعلمان - أن يرتبط أحد العاملين في مهنتنا بالعادات السيئة ، مثل  
التدخين ، وإستهام الخمر ، وتناول المخدرات ، وغيرها ،  
لهذا يشغف من قراته ، و...

قاطعه ( حسام ) في سخرية مريرة :

- أمن الضروري أن نستمع إلى نصائحك الغالية ؟ .. ألا يمكن

إعدامنا مباشرة ؟

صمت ( فوستر ) لحظات ، وهو يتطلع إليه ، ثم قال ملوفاً  
بكلمة :

- لا .. لستما مضطرين لهذا .

ثم اعتدل ونفث دخان سيجاره مرة أخرى ، مستطرداً :

- إنني أحتفل بانتصاري عليكما فحسب .

قال ( حسام ) ساخراً :

- وهل يدفعك هذا إلى التحال شخصية قاطرة بخارية ؟

بدأ الضيق على وجه ( فوستر ) - وهو يقول :

- أنت وفتح أكثر مما ينبغي ..

ثم عاد بلوفاً بكلمة ، مستطرداً :

- فليكن .. ستدفع ثمن وفاحتك هذه فيما بعد - أما الآن

فأطلبكما تتلهفان على معرفة كيفية توصلي إليكما .

قالت ( ماري ) في برود :

- هذا الأمر لا يهمني قط .

وأجبتها قائلاً :

- كذب .. أنت امرأة .. وكل النساء يمتدّن بالفضول .

ولا يمكنكن كتمان فضولهن أبداً .

قالت في حزم .

- فيما عداي .

كرز في صرامة :

- كذب .

ثم راح يسير أمامهما ، وهو يواصل :

- عندما تعلقت الأمور ، رحلت أبست عن وسيلة منطقية

للتعثر عليكما ، وعندما تفكرت أن أجهزة الفحص في منزلي ،

كانت قد أثبتت أن ( ليا ) لم تكن تحمل معها أجهزة تصفت ، عندما

دخلت المنزل ، فمن أين أنت بالجهازين ، اللذين زرعتهما في

حجرة مكنتي ؟ .. كان الجواب الملطفي الوحيد هو أنها أحضرتهما

من النافذة الوحيدة بالحجرة .. ورحت أتفيل عزيزتنا ( ليا ) ،

وهي تفتح النافذة ، بعد أن غادرت أنا الحجرة ، بسبب قصة

القنبلة السخيفة ، ثم يقذف إليها شخص ما جهازاً التفتت عبر

النافذة .. نعم .. كان هذا منطقياً ، والوسيلة الوحيدة ، التي

يمكنها بلوغ نافذة الحجرة ، دون أن ينتهي إليها رجالي ، هي سهم

مثلاً .. سهم عادي يطلقه شخص يجود استخدام القوس والسهم .

اعتزفت (منى) بكاء (فوستر) الشديد ، عند هذه النقطة ،  
وبانه يستحق عن جدارة لقب (تعلب المغايرت) ، الذى اشتهر  
به ، واستمعت اليه بمزيد من الاهتمام ، وهو يتابع :

- كان هذا ينقلنا مباشرة الى السؤال التالى ، وهو : من أية  
نقطة يمكن إطلاق مثل هذا السهم ، لبلوغ نافذة حجرة مكتبى ؟  
وكان الجواب بالغ البساطة .. إنه (حتى شقى البتابة المواجهة  
لمتمزلى تماما .. وهنا أصبحت المشكلة بالغة البساطة .. يكفى أن  
نسال حارس البناية ، عن أصحاب الرصعين ، اللذين وضعهما  
أحد خبراء الإدارة ، لتعلم أية شقة تحتلان ، ونصل اليكما بهذه  
السهولة .

انتهى من حديثه ، وابتسامة الزهو والثقة تملأ وجهه كله ، ثم  
ساد صمت تام داخل المكان ، قطعه (فوستر) ، وهو يسأل  
(حسام) :

- مارأيك ؟

أجاب (حسام) فى بروء :

- الواقع أننى أفضل أفلام (شارلى شابلن) (١٠) .

قال (فوستر) فى سخرية :

- من المؤسف أنك لن تجد الكثير منها فى السجن .

بدأ شبح ابتسامة على وجه (حسام) ، وهو يقول :

(١٠) (شارلى سبسر شابلن) (١٨٨٩ - ١٩٧٧ م) ، مخرج وممثل وممثل سينمائي  
أمريكي . من أصل بريطاني . ابتكر وأعدا من أفضل الشخصيات الكرتونية السينمائية ،  
وهي شخصية (شارلى الصوفاء) ، فى سلوكات السينما الساخرة وهي تشخص كزويل  
سليق ، يحاول دائما التقلب على مشكلات الحياة مستمتعا ، من أشهر أفلامه (الراحت  
على الذهب) ، (الضوء النبيلة) ، (العصر الحديث) ، (المختار) .

- هل ترأهن ؟

ولجأة انقض (حسام) على (فوستر) ، وأحاط عنقه بتراعه  
اليسرى ، فى نفس اللحظة التى استل فيها مندمه بهيمته ..  
والصقه برأس الرجل ، هاتفا فى سخرية

- أخطأت بمعاظرتك العملة بأرجل .. كان ينبغي أن تأمر  
رجالك بتفتيشنا أولا

تحظر رجال (فوستر) لإطلاق النار ، ولكن (حسام) صاح بهم  
فى صرامة :

- حذار أن يتحرك أحدهم ، وإلا انفجر رأس رعيكم الوغد هذا  
تباتون جبير .

هتكت (منى) بالإنجليزية :

- أصحلت .

وقال (فوستر) فى حق :

- أنتنك مشربح هكذا ؟

أجاب (حسام) فى صرامة :

- نعم .. أظننى مبالغى ، فإن بجري أحد أوغادك على إطلاق

النار ، وأنا أصنع منه درغا .

قال (فوستر) فى حدة :

- لن يعذك الفرار حتما ، حتى لو احتفلت بى كرهينة .

شد (حسام) من ضغط ذراعه على عنقه ، وهو يقول :

- دع هذا لى .

أجاب (فوستر) فى غضب :

- ولى أيضا يا فتى .



أما (فومستر) ، فقد اندفع نحو (حسام) ، وانحنى يلحس نص وريده العنقي في اهتمام .

ولهاة ارتفعت بد (فومستر) ، لتتمسك بمعصم (حسام) ، في اليد التمسكة بالتمسك ، وترفع لهاة التمسك عاليا ، ثم دفع مرافق ذراعه الأخرى في معدة (حسام) ، وانزلق بجسده متحررا من ذراعه ، وملقيا نفسه أرضا ، وهو يصرخ :

- الآن يا رجال -

وانطلقت رصاصات مدافع رجاله :

انطلقت كلها نحو (حسام) ..

وفي هذه المرة ، استقبل جسد البطل معظم الرصاصات ، التي انثرت جسده من مكانه ، وضربته بالحائط ، قبل أن يسقط على وجهه ، مع صرخة (من) :

- لا .. لا ..

رأت الدعاة تسيل من جسد (حسام) ، الذي انقلص في قوة ، ثم خمدت حركته تماما ، فعادت تصرخ :

- لا .. لا ..

ثم سقطت منهارة ، وهي تبكي في حنينة وألم .

أما (فومستر) ، فقد اندفع نحو (حسام) ، وانحنى يلحس نص وريده العنقي في اهتمام ، ثم هتف :

- إلهي -

هتف أحد رجاله في دهشة :

- حتى ١٢ .. بعد كل هذه الرصاصات !

تجدلت النصوص في عيني (من) ، وهي تحلق في جسد (حسام) في دهشة وأمل ، في حين لخص (فومستر) جسد (حسام) في مرعة ، قبل أن يهتف :



- عجبنا ١٢ .. إنه يرتدى قميصاً واقياً من الرصاصات ، ولكن يبدو أن إحدى رصاصاتنا اخترقت جانب عنقه ، واشتركت مع ارتطامه بالحائط ، في إصابته بفقدان الوعي هذا .. أسرعوا في طلب سيارة إسعاف إلين .. أسرعوا ..

وهذا انفرطت (متى) مرة أخرى في بكاء حار .. وكان طعم دموعها ، في هذه المرة ، يختلف .. كانت لموع ارتجاع لنجاة (حسام) من الموت .. وهذا هو الريح الوحيد ، في المهمة كلها .. المهمة التي فشلت .. فشلت تمامًا ..

\*\*\*



## ١١ - الفشل ..

« فشلت ١٢ .. »

تطفها مدير المخابرات في شحوب شديد ، وهو يتطلع إلى مساعده في ارتجاع ، فأوما مساعده برأسه إيجاباً في أسف ومرارة ، وهو يقول :

- نعم ياسيدى .. يمكنك أن تعتبر هذه المهمة فاشلة تمامًا .. لقد فشل (حسام) و (متى) في إنقاذ (هارولد) ، أو حتى قتله ، وعلى العكس ، فقد نجح رجال ال (سي . آي . إيه) في إلقاء القبض عليهما ، وإصابة (حسام) بإصابة خطيرة ، لم يستعد وعيه منها حتى الآن ، وهم يحتفظون به في مستشفى السجين المركزي . أما (متى) ، فسيتم تقديمها إلى المحاكمة ، بتهمة التجاسوسية .

سأله المدير في حزن شديد :

- وهل عرف الأمريكيون هوية (حسام) و (متى) ؟ أجابه مساعده :

- لا ياسيدى .. وهذه هي النقطة الوحيدة في صالحنا ، في العملية كلها ، ولكنها نقطة مؤقتة ، لأن بلبث الأمريكيون أن يكشفوا أمرهما ، مع مرور الوقت .

زفر المدير في مرارة ، وهز رأسه ، قائلاً :

- أعلم هذا .. إنها مسألة وقت .. مسألة وقت فحسب .

ثم رفع عينيه إلى مساعده ، مستطردا :

— أعلت الآن لماذا كنت أفكر (أدهم صبرى) ؟

قطب المساعده حاجبيه ، وقال :

— ومادا كان (أدهم صبرى) سيفعل ، فى مثل هذه الظروف ؟

قال المدير :

— الكثير .

ثم خفض عينيه ، مستطردا فى أمسى :

— ولكن لكل شيء نهاية .. لقد مضى عصر (أدهم صبرى) ..

مضى إلى الأبد ..

\*\*\*

« أنت متهمه بالتجسس على حكومة الولايات المتحدة

الأمريكية .. هل تعترفين بالتهمه أم ترفضينها ؟ »

وجه قاضى المحكمة الفيدرالية هذه العبارة لـ (منى) ، فى

صرامة واضحة ، فرفضت (منى) إليه وجهها الشاحب المتهاك .

وقالت :

— أرفضها بالطبع ، فلم أت إلى هذا للتجسس .

سألها فى صرامة :

— لماذا تظنين حقيقة جنسيتك إذن ؟

أجابته بصوت متعب مكتوم :

— هذا شأنى ..

رفعها القاضى بظفارة ازدراء ، وكأنما لم يرق له جوابها ، ثم

سألها :

— هل يمكنك توكيل محام للدفاع عنك ، أم تنفد لك المحكمة

محاميا لهذا ؟

أجابته فى بأس :

— فلتنتخب المحكمة من تشاء .

كانت القاعة خالية تماما ، (إلا منها ، ومن رجلى بخابرات

أمريكيين ، والقاضى والحاجب ، وكاتب الجلسة ، فلم تكن جلسة

محكمة ، وإنما كانت جلسة تحديد موعد ونوع المحاكمة ، لذا فقد

قال القاضى فى حزم :

— سيتم المحاكمة بعد أسبوعين من الآن ، وستنتخب هيئة

المحكمة محاميا للدفاع عنك ، وإلى هذا الحين ، تأمر بحبسك

احتياطيا ، فى السجن التسانى الفيدرالى .

كانت قد سمعت الكثير عن السجن الفيدرالى ، وتعلم أنها

ستلقى فيه أسوأ أسبوعين فى عمرها كله ، مالم تكفى فيه كل

عمرها هذا ..

ولم يكن لديها ما تقطعه ..

لقد فشلت المهمة ، ووقعت فى أيدى خصومها ..

لقد واجهت أخيرا ما كانت تفضاه طفلة صغرها ..

وفى استسلام تام ، تركتهم يخطئون على بصعائنها ،

ويقودونها إلى السجن الفيدرالى الرهيب ، وعندما أبدلت ثيابها -

بنوب السجن الرمادى الكتيب ، سألها مأمور السجن :

— هل ترغبين فى شيء قبل دخول زنزانته ؟

كادت تعلن رفضها الحصول على أى شيء .. إلا أنها لم تلبث أن

تفكرت أمرا ما ، بحث فى نفسها شيئا من الأمل ، فتردأت لحظة ،

ثم قالت :

— إن لى الحق فى إجراء محاكمة «انقلية واحدة .. ليس كذلك ؟

أجابها مأمور السجن :

- نعم .. لك الحق في هذا ..

ترددت مرة أخرى ، ثم سألته :

- أتي الحق في طلب هذه المحادثة ، عبر المحيط ؟

تبادل مأمور السجن نظرة مشائبة مع نائبه ، الذي قال :

- القانون لم يحدد مدى المحادثة .. نعم أظن من حلك هذا ..

سألته في حزم :

- وهل من حلي ألا يستمع أي مخلوق للمحادثة ؟

أجابها المأمور :

- هذا من حلك تمامًا ..

شعرت بالارتياح ، وهي تقول :

- في هذه الحالة أريد التحدث هاتفيًا ، عبر المحيط ..

كان هذا هو أملها الوحيد ..

والأخير ..

\*\*\*

تهالك (هارولد) تمامًا ، فوق ذلك المقعد الضخم ، الذي قيد رجال الـ (إس. آي. إيه) أطرافه إليه ، والذي اتصلت به عدة أسلاك كهربائية طويلة ، تنتهي عند جهاز في حجم منضدة صغيرة ، جلس خلفه أحد الرجال ، الذين يرتدون المناظير السوداء ، وأخذ يداعب أزراره بسبائنه في ترويح ، فأتى :

- هيا يا عزيزي (هارولد) .. إنك رجل صلب بحق ، فقد احتملت الكثير حتى الآن ، واستطعت كتمان سرك في أعماقك ، ولكنك بشر يا عزيزي .. مجرّد بشر ، ومهما بلغت قدرتك على

الاحتمال ، فاستهزأ حثًا وتعترف .. صدقتي .. لقد شاهدت عشرات مثلك ، في نفس المواقف ..

قال (هارولد) في تهالك :

- ما تفعلونه بي غير قانوني .. ستعاقبون من أجل هذا ..

ابتسم الضخم في سخرية ، وهو يقول :

- لحسن قانوني ؟ .. يالك من غر ساذج يا عزيزي

(هارولد) : .. ألم تتعلم شيئًا بعد ، من (قامتك في أمريكا) ، أو من

العمل معنا ؟ .. ليس المهم هنا أن يكون العمل قانونيًا ، أو غير

قانوني يا (هارولد) .. المهم أن يمكنك إثبات هذا ..

قال (هارولد) :

- أنتم أو شاذ ..

ابتسم ابتسامة الضخم ، وهو يقول :

- أنت على حق يا عزيزي (هارولد) .. أنت على حق ..

وفي هدوء ، لمس أحد أزرار الجهاز ، فانقبض جسد (هارولد)

في قوة ، وانضبطت أسنانه في وجه صرخة ألم مكتومة ،

استغرقت ثواني معدودة ، قبل أن يرفع الضخم سبائنه عن الزر ،

فأتى بالبنسابة متشعبة :

- هل يدرك لك هذا يا (هارولد) ؟

تهالك (هارولد) تمامًا مرة أخرى ، وتصنّب على جبينه عرق

غزير ، في حين أطلق الضخم ضحكة عالية ، وقال :

- لمسة بسيطة لأحد الأزرار ، ويسري في جسدك تيار كهربائي

مضغوط ، قد لا يكفى لقتلك ، كما يحدث في الإعدام بالكهرباء

الكهربائي ، ولكنه مثالي لتقبض كل عضلة في جسدك ، مع الأم

رهبة .. لمسة واحدة يا عزيزي (هارولد) ..



لعمته المفضلة، وألقى نظرة محلقة على الجهاز، وأخرى على  
(هارولد)، قبل أن يقول:

- كما تأمر يا مستر (داني) .. كما تأمر:

وغادر الحجرة في خطوات سريعة حاسمة ..

ولثوان، بعد مغادرته الحجرة، ساد صمت تام في المكان، ثم  
اتجه (داني) إلى حيث يجلس (هارولد)، ورثت على كتفه،  
قائلاً:

- كيف حالك؟

قال (هارولد) في مرارة:

- ياله من سؤال صلب!

مط (داني) شفتيه، وقال:

- أعلم أنك تمقت ما أقول بك يا عزيزي (هارولد) .. ولكن  
ما نبتنا نحن .. أنت أجبرتنا على هذا بهذالك وإصرارك على كتمان  
الأمر ..

قال (هارولد) في سخط:

- .. هناك وسائل قانونية ..

ابتسم (داني) في سخرية، وقال:

- قانونية؟ .. أه .. بالطبع يا عزيزي (هارولد) .. هناك  
وسائل قانونية ..

ثم اتجه نحو الجهاز الرهيب، ورفع سنابته أمام وجهه،  
مستطرداً:

- وهناك وسائل أفضل ..

ارتجف (هارولد) هذه المرة، وهو يتصور سنابته (داني)  
تسمى الأتارار، وتطلق في جسده تلك التيار الكهربائي المولم ..

قال (هارولد) في انهيار:

- إنها لعمرة شر .. مستدفون ثمنها غالباً ..

فلققه الضخم ضلحاً مرة أخرى، وقال:

- تدفع ثمنها ١٢ .. من الواضح أنك لم تفهم بعد يا (هارولد) ..

ولمس الزر مرة أخرى، فأطلق (هارولد) صرخته المكتومة.

وراح جسده يلتفض في علف، قبل أن يرتفع صوت صارم في  
الحجرة، قائلاً:

- كفى ..

رفع الضخم سنابته عن الزر في سرعة، وانهار (هارولد)

على مقدمه، و (داني) يقول في غضب:

- ماذا تفعل يا رجل؟ .. هل نسيت من أنت، وماذا تفعل هنا؟ ..

إننا جهاز سفارات محترم، نقوم باستجواب عميل خائن، ولنا  
مجموعة من التنازيبين، تستمتع بتعذيب أسير ..

ارتكض الضخم، وهو ينهض قائلاً:

- لم أكصد هذا يا مستر (داني)، ولكن ..

فألقاه (داني) غاضباً:

- من الواضح أنك تحتاج إلى علاج نفسي يا رجل ..

أرداد ارتكض الضخم، وهو يقول:

- ليس إلى هذا الحد يا مستر (داني) .. الواقع أنني ..

فألقاه (داني) مرة أخرى في حزم صارم:

-ذهب يا رجل .. عد إلى الإدارة، فقد تم إحقاؤك من هذه

العملة ..

بدا الضيق على وجه الرجل، كما لو كان طفلاً، انتزعت منه

إنها أكثر لمة يقرأها ويمسكها ، في الكون كله ..  
لمسة الشر ..

والألم ..

والعذاب ..

وفي تهالك ، قال (هارولد) :

- لا يا (داني) .. أرجوك ..

برفت عينا (داني) ، وهو يقول :

- كما تأمر يا عزيزي (هارولد) .. بكفى أن تطلب هذا ..

ثم أرتد بإتسامة خبيثة :

- ولكن ما المقابل ؟

أرك (هارولد) ما يقصده (داني) ، فقال في مرارة :

- أذهب إلى الجحيم ..

قال (داني) في برود :

- هكذا ؟

ثم لمس الزر في هدوء ، ورأى (هارولد) ينتفض أمامه من

الألم لثوان ، قبل أن يرفع سنابته عن الزر ، فيتهالك (هارولد)

تماما ..

وانتظر (داني) لحظات ، حتى بدأ تصليب العرق ، على جبين

(هارولد) . ثم قال في هدوء :

- الموصف يا عزيزي (هارولد) هو أن إسارك هذا لن يلبس

كثيرا ..

وأخرج من جيبه صحيفة (نيويورك تايمز) ، المسيرة في

الصباح نفسه ، واتجه إلى (هارولد) ، وفرد لها أمامه . أنلا ..

- اقرأ هذا الخبر ..

فتح (هارولد) عينيه في صعوبة ، وقرأ في أسفل الصفحة  
خبرا ، يشير إلى إنقاذ القبض على جاسوسين أجنيين ، لم تتحدد  
جنسيتيهما بعد ، مع صورة لـ (حصام) ، وهو يركب في المستشفى  
فائد الوعي ، وأخرى لـ (متى) ، بين أيدي رجال الشرطة  
الفيدرالية ، و (داني) يقول :

- أراهن أنك تعرفهما يا عزيزي (هارولد) ، فهما من  
مواطنيك ، وكانت مهمتهما هي إنقاذك ..

ألقي (هارولد) نظرة أخرى على الصورتين ، ولكنه لم  
يتعرفهما ، كما يتصور (داني) ..

لقد قضى أكثر من نصف عمره ، في الولايات المتحدة  
الأمريكية ، لا يلتقي إلا برجل واحد ، من رجال المخابرات  
المصرية ، ولا يعرف سواه ..

أكثر من عشرين عاما ، قضاهما متخفيا في المجتمع  
الأمريكي ، محاولا مد جذوره في أعماقه ، والتلون بصيغته ، حتى  
قاد يفسى اسمه المصري ، الذي لم يعد يستعمله ، منذ ما يقرب من  
ربع القرن ..

ولكن (داني) يظن أنه يعرف صاحبي الصورتين ..

هل يوافق على هذا ، أم ينكر الأمر ؟ ..

لم يكن عقله يعمل بالصفاء اللازم ، لاتخاذ قرار في هذا الشأن ،  
ولكنه راح يعصر ذهنه ، للبحث عن جواب مناسب . حتى قال  
(داني) :

- لقد وقعا في أيدينا . وإن ثبت أن تكشف أمرهما تماما ..

وتحصل على اعترافات صريحة منهما ، قد تسبب في إثارة أزمة دبلوماسية ضخمة ، بيننا وبين (تل أبيب) .. أعنى بين دولتنا وصمت (هارولد) تماماً ، ولم يجر جواباً ، وطال صمته بعض الوقت ، فلقي (داني) الصحيفة جانباً ، وقال :

- فليكن يا عزيزي (هارولد) .. إنك تضطرنني إلى التعامل معك بذلك الأسلوب ، الذي تفضسه .

واتجه إلى الجهاز ، وقال :

- أسلوب لمس الأزرار .

هتف (هارولد) :

- لا .. أرجوك .

قال (داني) في شراسة ، تعتزج بشرء من العصبية :

- اعترف إنني يا (هارولد) .. أخيراً ما نريد منك ، فبنتهي كل شيء على الفور .. هيا يا (هارولد) .. أنت الذي بملك إنهاء كل هذا .

فلزت إلى ذهن (هارولد) مشاهد عديدة ، أشبه بشرية

سرمالي متصل ..

مشاهد من طفولته بـ (مصر) ..

وصباه ..

وشبابه ..

ثم مشاهد من عمله في (أمريكا) ..

وامتزج هذا بذاك ، وارتبك ذهنه لحظات ، تراخى جسده بعدها ،

وهو يقول في مرارة :

- سأعترف يا (داني) .. سأخبرك بكل ما تريد معرفته .

وفي استسلام تام ، راح يروي كل ما لديه ..

وبكل التفاصيل .

\*\*\*

١٧٤

## ١٢ - عبر المحيط

مط مساعد مدير المخابرات المصرية شلقية ، وهو بطائح

الخبر المنشور في (نيويورك تايمز) ، ثم طوى الصحيفة ،

وأزاحها جانباً ، وهو يقول :

- أنهم يتباهون بفوزهم .

أشاح المدير بوجهه في ضيق ، مقنعاً :

- من حق المنتصر أن يفعل دائماً ،

قال مساعده في خلق :

- بالأوغاد !

ثم لوح بقفه ، مستطرداً :

- وهل سنترك رجالنا هكذا ؟

التفت إليه المدير ، وسأله :

- وماذا يمكننا أن نفعل ؟

هتف المساعد :

- نحاول إنقاذهم .. نساعدهم على الفرار .. أو نرسل إليهم

محمياً على الأقل .

صمت المدير لحظة ، ثم قال :

- سنأدرس هذه الاقتراحات .

وشرد ببصره لحظة ، قبل أن يستطرد :

- ولكن من الضروري أن يتم أي إجراء نتخذه في صمت ،

ودون الإشارة إلينا من قريب أو بعيد .

١٧٥



قال مساعده :

ليس هذا بالأمر الصغير .

تنهّد المدير ، قائلاً :

هذا ما نطلبه .

ثم نهض من خلف مكتبه ، واتجه إلى نافذته ، وراح يتطلع منها لحظة ، قبل أن يضيف :

إنها ستكون عملية جديدة ، تحتاج إلى المزيد من الرجال ، ومن الخطط الجديدة ، ولكن الأمر الوحيد المؤكد ، هو أننا لن نتغلب أبداً عن رجالنا ، مهما كان الثمن .. لن نتغلب عنهم قط .

\*\*\*

كنتم (قنرى) دموعه فى صعوبة ، وهو يقرأ ذلك الخير ، الذى يحمل صورتي (منى) و (حسام) ، ثم ألقى الصحيفة جانبها ، وهو يقول فى حلق :

اللعنة ؟

كانت دموعه تقاقل لتلههم من عينيه ، مع ذلك الشعور العارم بالمرارة ، الذى يملأ نفسه ، ويكاد يفيض من ملامحه وعروقه .. أنه لم يعد يحتمل ..

لم يعد يحتمل ذلك العالم البقيض ، الذى يحيا فيه ..

عالم الصراعات والشور ..

قاوم دموعه أكثر وأكثر ، وحاول أن يتشاغل فى بطاقة جديدة ، من البطاقات السرية للمخابرات المركزية الأمريكية ، كان (هارولد) قد أرسلها إليه منذ شهر أو يزيد ، ليحاول تزويرها ، وصنع بطاقات شبيهة ..

ولكنه لم يستطع ..

كانت أصابعه ترتجف ، وعينه تفيمان بدموع حبيسة ..

وهو شخص عاطفى ..

عاطفى أكثر مما ينبغي ..

وأكثر مما يحتمل العمل فى مجاله ..

وعاطفيته هذه تؤلمه ..

تحطمه ..

تقتله ..

غص حلقه مرة أخرى بالدموع ، وهو يقاوم ويقاوم ..

ما الذى ربحه من هذا العمل ؟

صحيح أنه أشهر خبير تزوير معروف ، ولكنه أتعس رجل فى الدنيا ..

إنه يفقد أصدقاءه ، وأحداء بعد الآخر ..

فى البداية خسر (عازم) .. (\*)

ثم (أدهم) .. (\*)

(أدهم) ، الذى لم يرتبط بمخلوق فى حياته كلها ، مثلاً ارتبط به ..

(أدهم) الرقيق ، المهذب ، اللبق ، الصنوف ..

وهذا عجبت عيناه عن حبس دموعهما ، مع ذكرى (أدهم) ،

فهتف فى مرارة :

اللعنة ! لماذا أقاوم ؟

(\*) راجع قصة (الرصاصة الذهبية) - ص ٢٠ - (٤٧) .

(\*) راجع قصة (نكر الإرهاب) - انطاسة رقم (١٠) .

تفجرت بموعدة الحبيسة، وتركها تفرق وجهه، وتتساقط على  
أوراقه، وهو يعتمد جبهته براحتيه، مفتتحاً في حرارة ..  
إنه لن ينسى أبداً ذلك اليوم، الذي بلغه فيه خبر مصرع (أدهم)  
في (المسيك) ..

يومها بكى، كما لم يبكي من قبل ..  
صحيح أن أهدا لم يلمح بموعدة يومها، ولكن جذران حجرته  
ومسند رات أنهارا ملها تنهمر في غزارة ..  
ولم ينس (أدهم) أبداً حتى الآن ..  
من ذا الذي ينمناه ؟

من ينسى أعظم رجل مخابرات في العالم ؟  
الرجل الذي اتحت له أنظمة المخابرات، في قارات العالم  
الست ..

من ينمناه ؟ ..  
ترك لموعدة تنهمر في غزارة، وشعر بالارتياح مع سقوطها،  
وعانها كانت تجثم على صدره وأعصابه ..

اليوم أيضا فقد (منى) ..  
آخر الأصدقاء والأحبة ..  
اليوم خسر لمسة الأثونة الرقيقة، في عالم المخابرات  
الغنيب ..

ولجأة ارتفع رنين الهاتف ..  
هاتفه الخاص المباشر، الذي يندر أن ينطلق رنينه في  
حجرته، مع قلة عدد معارفه وأصدقائه ..

ولوهلة، تساءل (قدري) عمن يمكن أن يتصل به، عبر هذا  
الرقم بالذات، ثم لم يلبث أن اختطف سماعه الهاتف، قائلا :

من المتحدث ؟

أتاه صوت مأكوف، يقول :

إنه أنا يا (قدري) ..

لم يصدق نفسه، فانقبضت أصابعه على سماعه الهاتف في  
قوة، وهتف :

-( منى ) ؟ .. أهو أنت حقاً ؟ .. كيف حالك يا (منى) ؟ .. من  
أين تتحدثين ؟

تفجرت بموعدة مرة أخرى مع كلماته، وسمع صوتها تقول :

-( إنني بخير نسبياً يا (قدري) ، فمازلت على قيد الحياة على  
الأقل، وأتحدث إليك عبر المحيط، من السجن الجداري في  
(نيويورك) ..

شعر بالأسى لقولها، وهتف محاولاً بث روح الأمل والتفاؤل في  
أصاقيها، وسحو الكثير من بأسها :

-( لن تستمر الأمور بهذا السوء يا (منى) .. صدقيني .. لا بد  
أن يكون لديك (إيمان بالله) (سبحانه وتعالى) ، ولا يغفل قلبك أبداً  
من الأمل ..

صعدت صوتها لحظة، ثم قالت في تردد :

-( لدى أمل واحد في الواقع يا (قدري) ..

سألها في اهتمام :

-( ما هو يا (منى) ؟

ترددت لحظة أخرى، ثم قالت في صوت يؤكد أنها قد حسنت  
أمرها :

-( استمع إلي جيداً يا (قدري) ، فما سأخبرك به بالغ الأهمية  
والخطورة .. والسرية أيضاً ..

والدفت تروى ما لديها ..  
واتست عينا (قذرى) فى زهول ..  
واتسعت ..  
واتسعت ..

★ ★ ★

لم تكذ (منى) تنتهى من إبلاغ (قذرى) ما لديها ، وتعيد سماعه  
الهاتف إلى موضعها ، حتى شعرت بارتياح بالغ ، وكأنما أزاحت  
عن قاعها حملا ثقيلا ، وأطلقت من أعماقها زفرة حارة ، فى نفس  
اللحظة التى نقل فيها المصور السجين إلى حجرة الهاتف ، وسألها  
فى هدوء :

- هل انتهيت من «حادثك» ؟  
أجابته فى ارتياح :  
- نعم .. شكرا لك .  
تطلع إليها المصور لحظة ، وكأنما يحاول سبر أغوارها ، قبل  
أن يقول :

- اتعلمين ما سيواجهك هنا ؟  
أجابته فى خلوت :  
- إلى حد ما .  
تأملها مرة أخرى مشفقا ، ثم قال :  
- صحيح أنك هنا ، تحت الحبس الاحتياطى ، بتهمة التجسس ،  
ولكنك فى الواقع لا تبدين أبدا كجاسوسة ، وأخشى أن وجودك هنا ،  
طوال الأسبوعين القادمين ، سيبدو أشبه بالجحيم .  
سألته :

- هل منسى «معاملتى» ؟  
هز رأسه نفيا ، وقال :  
- لمست أنا من سيفعل .. بل زعيمات السجينات هنا .  
سألته فى سرارة :  
- ألا ترى متهمة بالتجسس ؟  
عاد بهز رأسه ، قائلا :

- لمست أظن هذا يعنى الكثير بالنسبة إليهن ، ولكنهن يعلمن  
هذا بكل قلعة جديدة ، وكأننى بهن يعلن أمامها سيطرتهن على  
عالمهن القذر البقيض .  
ابتسعت قائلة :  
- لا تقلق من أجلى ، فى هذا الشأن .  
تطلع إليها فى دهشة لحظة ، ثم هز رأسه ، قائلا :  
- هذا شأنك .  
ثم التفت إلى مساعدته ، قائلا :  
- اذهبى بها إلى زفرائتها .  
ألقت المساعدة نظرة شامتة على (منى) ، ثم دفعتها أمامها ،  
قائلة فى صرامة :  
- هيا يا امرأة .

صارت (منى) أمامها ، عبر معرطويل ، يضم عددا ضخما من  
الزفرائات الصغيرة ، فى كل منها امرأة ، تتطلع إليها باهتمام  
متشبهة ..  
وعندما بلغت المساعدة تلك الزفرائة ، المفصصة لـ (منى) ،  
لمست معصم هذه الأخيرة فى قوة ، وقالت فى صرامة شرسة :



- اسمعني يا صغيري ... من الواضح أنك تجهلين تمامًا أين أنت، وتجهلين طبيعة هذا المكان، ولكن من الضروري أن تعلمي أنك، بمسورك جدران هذا السجن، قد أصبحت كماً مهملاً، لا تساوي حياتك سوى تقرير إداري صغير، من بضعة أسطر، وشاهدين من حشالة المجتمع، ولهذا على ضرورة أن نلتزمي بكل ما يواجه إليك من أوامر، والانتسبى أبداً أنتى هذا الرئيسة الحقيقية، فالمأمور نفسه لا يجزئ على دخول هذه المنطقة ... هل تفهمين؟ أجابتها (منى) في برود:

- إلى حد ما.

صاحت بها المساعدة في غلظة:

- بل ينبغي أن تفهمي جيداً.

ابتسمت (منى) في سخرية، وهي تقول:

- ربما كنت بطيئة الفهم.

وعلمتها المساعدة بنظرة غاضبة شرمة، ثم قالت في عصبية:

- لدق من تساعدك على سرعة الفهم.

ثم صرخت:

- (سيرينا).

ظهرت زنجية معشوقة القوام، صارمة الملامح، قوية البدن، رعلت (منى) بنظرة قاسية، وهي تقول للمساعدة:

- ماذا تريدن يا (هويا)؟

أشارت (هويا) إلى (منى)، قائلة في لهجة أقرب إلى الشتمة:

- هذه الأخطوبة بطيئة الفهم.

تأملت عينا (سيرينا)، وهي تقول في لهجة أقرب إلى الجدال:

- حلاً ١٤

ابتسمت (هويا) في تشف، وهي تقول:

- حاولي تعليمها سرعة الفهم يا (سيرينا)، وأسرعى، لأن تبقى بيننا سوى أسبوعين فحسب.

غغغمت (سيرينا) في سخرية:

- يا للخسارة!

أطلقت (هويا) ضحكة ساخرة، وغادرت المكان في خطوات سريعة، وهي تقول لـ (منى) في شتمة:

- سجنًا سعيدًا يا فتاتى.

ورددت جدران السجن صدى ضحكاتها الساخرة ..

\* \* \*

اتصلح حاجبا (فرانك جير)، مدير قسم مكافحة الجاسوسية، في المخابرات الأمريكية، وهو بطالع اعتراف (هارولد) في عناية، ثم لم يلبث أن ألقاه جانباً في حدة، هاتفاً:

- هراء .. كل هذا مجرد هراء.

قال (فومستر) في صرامة:

- ما الهراء فيه يا (فرانك)؟ إنه اعتراف واضح وتفصيلي، وهو يتفق تماماً مع وصول (دافيد) و(ليا)، اللذين ألقبنا القبض عليهما.

هتف (فرانك):

- بل هي محاولة فاشلة، لتوريط (الموساد) في العملية ..

من المستحيل أن ينسى (هارولد) هذا (الموساد) .. من يمكنك  
إقناعي بهذا أبداً، حتى ولو اعترف هو نفسه بهذا ..  
رسالة (فوستر) ينتظرة شك، وهو يقول :

- ولكن الاضطرار وحده لا يكفي لنا لدائنته يا (فرانك) ، أو  
لتسديده، وأنت تعلم هذا جيداً .. لقد راجعنا اعترافه نقطة نقطة،  
ووجدنا أنه يحتمل الصدق تماماً، فكل الغشاقين والأنعام التي  
أدلى بها ، والتي كانت أماكن وأشخاص الاتصالات ، صحيحة  
تماماً .

لوح (فرانك) بيده ، غائلاً :

- أي جهاز مخابرات يمكنه معرفة هذه المعلومات ، وتسجيلها  
داخل قصة زالة ، بحيث تبدو كما لو كانت حقيقة ؟  
سأله (فوستر) :

- أي جهاز مخابرات، مثل ماذا ؟

هتف (فرانك) :

- أي جهاز .. المخابرات المصرية مثلاً ،

قال (فوستر) في ببطء :

- ولم لا يكون (الموساد) ؟

لم يعر (فرانك) جواباً ، وساد الصمت لحظات ، حتى قال  
(فوستر) في صرامة وحزم :

- لماذا تتعاطف إلى هذا الحد ، مع (الموساد) يا (فرانك) ؟  
صاح (فرانك) :

- أتتعاطف ١٢ .. ولماذا أتتعاطف مع (الموساد) يا (فوستر) ؟  
أجابه (فوستر) في عصب :

- ربما كنوع من الانتماء الديني

صاح غاضباً :

- انتماء ديني ١٢ .. أنتهمنى بالتآمر مع جهاز مخابرات آخر ؟  
يا (فوستر) ؟

حرر (فوستر) كتفيه ، وقال في دهاء :

- إنني أسأل لحسب .

ضرب (فرانك) سطح مكتبه بقبضته ، ووقف :

- لا يا (فوستر) .. أصمت أتتعاطف مع (الموساد) ، أو لا (كي

جي . بي) ، أو أي جهاز مخابرات آخر ، ولكنني أحاول تقييم الأمور  
بطلي ، بدلاً من المسقوط كالفر الساج ، في أي فخ يداني ، يمد لي  
جهاز مخابرات عربي .

قال (فوستر) في هدوء ، ودون أن ينقل :

- ولماذا عربي ؟

هتف (فرانك) :

- لأنهم يحاولون تهريب (الموساد) ، وأنت تعلم أنه الخصم  
للشعوب لكل أجهزة المخابرات العربية ، وبالذات المصرية  
والمصرية .

قال (فوستر) ، وهو يعطف حروف كلماته في شدة :

- أريد أن أضعه .

صاح (فرانك) :

- ألم تر هذه الفتاة ؟ أتبدو لك إسرائيلية ؟

قال (فوستر) :

- لا يوجد ما يمنع كونها كذلك .

أعطف حاجبا (فرانك) في شدة . وهو يقول :

- أنا وأنت من أنها ليست إسرائيلية .

نهض (فوستر) وقال :

- إنها وجهة نظرك يا عزيزي (فرانك) ، وسأحترمها تماما .

ثم استترك في حزم :

- على أن تحترم وجهة نظري .

تراجع (فرانك) في مقعده ، قائلا :

- وما وجهة نظرك أيها العברי ؟

أجاب (فوستر) ، وهو يستدير متصرفا :

- لقد فعلنا الإسرائيليون من قبل يا صديقي ، وزرعوا بعض

جواسيسهم بيننا ، وأستأيد أن يفعلوا هذا ثانية .

لم يهبط (فرانك) ، وإن بدا وكأن حاجبيه سيقتربان ، من شدة

التفانيهما ، وهو يتابع (فوستر) ببصره ، في حين فتح هذا الأخير

اللباب ، وألقت إلى (فرانك) ، وابتمس الابتسامة خبيثة شائضة ،

وهو يلوح بيده ، قائلا :

- وستثبت الأيام صدق أحقنا يا صديقي . إلى اللقاء .

وأغلق الباب خلفه في هدوء ، لتطرق الحجرة في صمت

عصبي ، قطعته (فرانك) وهو يتمتم في قلبي وتوتر :

- أسلوبك هذه المرة لا يروق لي يا (فوستر) .. لا يروق لي

أيضا .

صمت لحظات أخرى ، وهو يدرس الأمر في عمق ، ثم لم يلبث

أن هز رأسه في قوة . وهو يقول في حزم :

- لا يروق لي بالفعل .

واستدار يلتقط سعاة هاتك خاص إلى جواره ، وضغط

أزراره في بطء وتأن ، وانتظر حتى سمع صوت محركه ، فقال :

- مساء الخير يا (إيزاك) .. إنه أنا (فرانك) .. يبدو أن

(هارولد) هذا يلعب لحساب المصريين ، فهو يحاول توريثنا في

الأمر .. نعم .. لقد علمت هذا الآن فقط .. من (فوستر) نفسه ..

من الضروري أن ترسل أفضل رجالك يا (إيزاك) ، لكشف حقيقة

(هارولد) ، قبل أن يربح المصريون اللعبة ، ونذفع نحن الثمن ..

أفضل رجالك يا (إيزاك) .. هل تفهم ؟

أنهى المحادثة على الفور ، ولان في غضب واضح :

- لن تسمح لكم بهذا أيها المصريون .. لن تسمح به أبدا .

وكان من الواضح أن الحرب مستتفة هذه المرة منحنى جديد ،

منحنى بالغ الخطورة .

\*\*\*





## ١٣ - العودة ..

غربت الشمس في (كيبواوا) ..  
لم تكن أول مرة تغرب فيها في الأفق ، خلف ذلك الجبيل ، الذي  
يشق المزرعة ، ولكن (أدهم) شعر بالحزن مع غروبها ..  
ولم تكن أول مرة يخرج فيها لمشاهدة تلك القروب ، ولكنه في  
كل مرة كان يشعر بالحزن نفسه ..  
كان القروب يذكره ، في كل مرة ، بغروب شمس هو ..

وباعتزله ..

لم يدر لماذا اتخذ هذا القرار ؟

لماذا قرر أن يعتزل العمل ، بعد زواجه - شبه الإجماري - من  
(سونيا جراهام) ، وإنجابها طفله الوحيد ؟

أهو شعور بالخجل ، لأنه تزوج عدوته ، وعدوة بلاده ؟  
إنه لم يكن يدرك ، وهو يتزوجها ، أنه يرتكب هذا الخطأ ..  
لم يكن يعلم من هو ..

ولماذا يفعل ..

وعلى الرغم من هذا ، فهو يشعر بالمرارة والغري مما فعل ..  
ومن أعصى أصاقي نفسه ، ومن قاع ذكرياته المريرة ، أطلق  
(أدهم) زهرة حملت حرارة براكين الأرض كلها ، ثم اتجه إلى  
الجواد العربي الأبيض ، الذي وقف ساكنا ، وكأنما يراقب القروب



وعلى الرغم من هذا ، فهو يشعر بالمرارة والغري مما فعل  
ومن أعصى أصاقي نفسه ، ومن قاع ذكرياته المريرة ، أطلق (أدهم)  
زهرة حملت حرارة براكين الأرض كلها

كصاحبه . ووثب على منته في رشاقة مدعشة ، ولكره بكعبيه في بطنه ، قائلا :

- هيا يا صديقي .

انطلق بالجواد عبر المزرعة الشاسعة المترامية الأطراف ، وقد خلا ذهنه من أية انفعالات أو ذكريات تقريبا ، وكأنما يجد سلواه في امتطاء تلك الجواد الأصيل ، الذي يعيد إليه شعوره بالانتماء إلى موطنه ..

ومن بعيد لاح له ذلك القصر ، الذي يتوسط المزرعة .. قصره ..

وبدون وعي منه ، خلف من مزرعة الجواد ، وكأنما يخشى بلوغ ذلك القصر ..

كان يمقت المكان ، ويمشقه في الوقت نفسه .. وباله من مزيج متناقض عجيب ..

كان يمقته ، لأنه يبدو - بالنسبة إليه - أشبه بسجن ، أحاطت به قضبانها ، ومنعته من العودة إلى حياته السابقة .. ويمشقه لأنه مسقط رأس أهله ..

أبته الوحيد .. وفي بطنه ، بلغ القصر ، وترجل عن جواده ، واستقبلته (سونيا) في توتر ملحوظ ، وهي تقول :

- أمازلت تصر على رؤية الغروب يوميا ؟

- أجابها في صرامة :

- هذا يروق لي .

انكفضت سوتها ، على غير عاداتها ، وهي تقول :

- إتنى لم أعترض .

تعزك ليخل إلى القصر ، ولكنها استوقفتها ، قائلة :

- (أدهم) .. أمازلت تكرهني ؟

لم بحر جوانها ، وإن بدا شيء من الحزن في عينيه ، فتابعته في عصبية :

- ماذا أفعل لأقنعك إتنى أحبك يا (أدهم) ؟

قال في ضيق :

- إتنى واثق من هذا تماما يا (سونيا) .

هتفت في صرامة :

- لماذا تكرهني إتنى ؟ .. لقد أقسمت لك إتنى لم أعد عدوتك ..

إتنى الآن زوجتك يا (أدهم) .. زوجتك وأم ابنك .. ألا تعلم هذا ؟

استدار يواجهها ، وهو يقول :

- أفهمه يا (سونيا) .. أفهمه تماما .. ولكنني أفهم أيضا أن

زواجنا تم بعده حقا .. أنت تعلمين جيدا يا (سونيا) أنه كان من المستحيل أن أتزوجك ، لو لم أفقد ذاكرتي ، وأجهل من لنا ، ولو لم يملكك خداعي ، وإيهامي بأنني (موشى حاريم نزار النيلي) (\*) .

صاحت محتلة :

- لماذا ؟ .. لماذا كان من المستحيل أن أتزوجك ؟ .. منات من

الرجال لم يتمتعوا خيرا من زواجهم مني .

قال في برود :

- ربما كان هذا هو السبب .

صاحت في حدة :

(\*) راجع قصة (الأمشوط) .. المغامرة رقم (٨٢)

- ماذا تعنى ؟

أجابها فى صرامة :

- أنت تدركين ما أعنيه .. ولا أريد كلمة واحدة زائدة ، فى هذا

الشان ..

نظفها بلهجة أمرة ، كانت تجمد النماء فى عروقها ، فلانفت  
بانصمت لحظات ، ثم قالت فى لهجة لها طعم الدعوى :

- ماذا أفعل لتجبنى ؟

أجابها مشيخا بوجهه :

- اتركى الأمر للزمن ،

سأنتبه فى حرارة :

- وهل هناك أمل ؟

تنهذ فى عصى ، وقال :

- من يدري يا (سوتيا) ؟ .. من يدري ؟

اكشبت لهجتها شيلا من الشراسة ، وهى تقول :

- أما زلت تحبها ؟

لم يجب على الفور ، فقالت فى حدة :

- إنك تحبها .. ليس كذلك ؟

قال فى شىء من الصرامة :

- كيف حال الصغير ؟

صاحت :

- لا تبدل الأمر ، ولا ..

قاطعها مشيخا إلى الأفق :

- يبدو أن لدينا زائرا ..

تطلعت إلى حيث يشير ، ورأت مصباحى سيارة يقتربان من

القصر ، عبر الطريق الممهّد الخاص ، فقامت فى حذر :

- ومن ذا الذى يأتى لزيارتنا ، دون موعد سابق ؟

ردّد (أدهم) :

- من يدري ؟

تابع ببصره السيارة ، التى قطعت الطريق كله ، حتى توقفت

أمام الباب الرئيسى للقصر ، وسمع سائقها يقول لراكبها الوحيدة ،

فى إنجليزية ركيكة :

- ها هو ذا قصر السنيور (أميجو صاندو) ياسنيور ، وها هو

ذا يقف هناك ، مع السنيور (نورما) .

تسائل (أدهم) فى حذر ، عمن يكون هذا الزائر الغامض ،

ولكنه لم يكذب بلحمه ، وهو يقارن السيارة ، حاملا حقيبتها الصغيرة .

حتى غف :  
- أنت ؟

أما (سوتيا) ، فقد اتعلد حاجبها فى شدة ، وأتركت أن هذا

التقاء قد يكون بداية جديدة لـ (أدهم) ..

أو نهاية أخرى ..

\*\*\*

انتهى الجزء الأول بحمد الله

وبليه الجزء الثانى

(التغلب)